كيف تحصن نفسك؟

وبعد أن عرفنا جملة من المعاصي والمحرمات المتمكنة في الأمة، وعرفنا أدلتها، والوعيد الشديد على من اقترفها وعكف عليها، فإننا نقول: كيف يحصن المسلم نفسه وأهله ونساءه وأولاده حتى لا يقع في مثل هذه المعاصي والمحرمات؟!

أولاً

بالتربية الحسنة

نعم، إن أول حصن حصين ومانع قوي، هو التربية الحسنة، التربية على الأخلاق والآداب الإسلامية، والتربية على معرفة الله، ومعرفة آثار هذه المعاصي السيئة ومعرفة تأثيرها على الطاعات والأعمال الصالحة وعلى المجتمع.

أيها الإخوة: إن الذي يتربى على الطاعة يألفها ويحبها، والذي يتربى على حب الأعمال الصالحة فإن ذلك يحمله على الاستكثار من العبادات والطاعات.

ولا شك أن من أسباب الوقوع في السيئات والمعاصي نقص قَدْر الله وعظمته وإجلاله في قلب العبد، فإنه لو كان لقدر الله نصيب في نفسك أيها العاصي لما وقعت فيما وقعت فيه من الذنوب والخطايا، لأن معرفتك بالله وعظمته وهيبته تمنعك من اقتراف هذه الذنوب، ولو كنت تعلم يقيناً أن الله مطلع عليك لما عصيته في أرضه لو وقعت الخشية في قلبك منه.

ومن التربية اختيار الزوجة الصالحة، لأن الزوجة الصالحة المحافظة على دينها سوف تسعى جاهدة إلى تربية ابنها التربية الإسلامية وتحافظ عليه ليكون ابنها لبنة صالحة في المجتمع، كما أنها تربيه على الطاعة والأعمال الصالحة.

أما المرأة السيئة في خلقها ودينها؛ فإنها عادة تهمل نشأها وتربيه على التلفاز والفيديو، وتربيه على الفساد، شعرت بذلك أم لم تشعر.

وكما ورد في الحديث: «**ثلاث من السعادة . .**» وذكر منها الزوجة الصالحة[1].

---

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني (١٠٤٧).

ونقدم الآن سمات مهمة هي حق واجب عليكم تجاه أبنائكم حقوق الأولاد هذه النعمة العظيمة التي امتن الله بها على عباده وهي نعمة الولد ؛ إنما تكون نعمة حقيقية إذا قام الوالدان بحقها وحقوقها وأحسنا في رعايتها، وقد جاءت نصوص كتاب الله وسنة النبي ﷺ تبين المنهج الأكمل والطريق الأمثل في تربية الأولاد.

الأولاد... نعمة من نعم الله عز وجل، هذه النعمة رفعت الأكف إلى الله بالضراعة أن يكرم أصحابها بها، فقال الله عن نبي من أنبيائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]. وقال الله عن عباده الأخيار: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. الأولاد والذرية تقر بهم العيون وتبتهج بهم النفوس وتطمئن إليهم القلوب إذا طابوا وقام الوالدان على رعاية الأولاد والعناية بهم وأداء حقوقهم كاملة على الوجه الذي يرضي الله عز وجل. وحقوق الأولاد قسمها العلماء إلى قسمين:

القسم الأول: ما يسبق وجود الولد.

والقسم الثاني: ما يكون بعد وجوده. فالله حمّل الوالدين المسؤولية عن الولد قبل وجود الولد وحملهما المسؤولية عن تربيته ورعايته والقيام بحقوقه بعد وجوده.

فأما مسؤولية الوالدين عن الولد قبل وجوده فإنه يجب على الوالد ويجب على الوالدة أن يحسنا الاختيار، فيختار الأب لأولاده أمًا صالحة ترعى حقوقهم وتقوم على شؤونهم، أمًا أمينة تحفظ ولا تضيع وعلى الأم أيضاً أن تختار زوجاً صالحاً يحفظ أولادها ويقوم على ذريتها فاختيار الزوج والزوجة حق من حقوق الولد، ولذلك قال ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع، لدينها وجمالها ومالها وحسبها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**».

اظفر بذات الدين حتى ترعى الذرية وتقوم على إصلاحها وتربيتها على نهج ربها، ظفر غنيمة وفوز.

وكذلك المرأة تختار الزوج الصالح الذي ترضى دينه وأمانته وخلقه وإذا أساء الرجل في اختيار زوجته ونظر إلى حظه العاجل من جمال ومال ونسي حقوق أولاده فإن الله يحاسبه حتى ذكر بعض العلماء: أن الزوج لو اختار الزوجة وعلم أنها لا تحسن إلى ذريته من بعده فإن الله يحمله الإثم والوزر لما يكون منها من إساءة إلى ولده، وكذلك المرأة إذا لم تحسن الاختيار لزوجها وعلمت أنه زوج يضيع حقوق أولاده وفرطت وتساهلت وضيعت فإن الله يحاسبها عما يكون من إثم ذلك الزوج وأذيته لأولادها، حق على الوالدين أن يحسنا الاختيار وأن يكونا المنبت الطيب هو الذي يبعث عنه الإنسان، فالناس معادن كما أخبر سيد البشر ﷺ فيهم المعدن

الكريم الذي طابت أصوله وإذا طابت الأصول طابت الفروع.

إن الأصول الطيبات لها فروع زاكيه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ فإذا كان معدن المرأة كريماً من بيت علم أو دين أو عُرف بالصلاح والاستقامه فإنه نعم المعدن ونعم الأمينة التي ستحفظ الأولاد والذرية في الغالب، وكذلك الرجل إذا كان معدنه طيباً فإنه سيكون حافظاً لأولاده، ولا يعني هذا أن المرأة إذا ابتليت بزوج مقصر أنها تيأس بل ينبغي عليها أن تحاول وأن تستعين بالله في إصلاح ذريتها وأولادها فإن الله عز وجل يقول: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥] فربما يكون الزوج غير صالح؛ ولكن الله يخرج منه ذرية صالحة، وقد يكون الزوج صالحاً ويخرج الله منه ذرية غير صالحة.

أخرج الله من أبي جهل عكرمة وهو من خيار أصحاب النبي ﷺ وقائد من قواد المسلمين وعظم بلاؤه في الدين، وقد يخرج الميت من الحي كما في ولد نوح عليه السلام. فالمقصود أن الأصل والغالب أنه إذا طاب معدن المرأة أن يطيب ما يكون منها من ذرية، هذا هو الحق الأول، وإذا اختار الإنسان الزوجة فمن حقوق ولده أن يسمي عند إصابة أهله؛ لأن النبي ﷺ ذكر التسمية عند الجماع أنها حرز وحفظ من الله للولد من الشيطان الرجيم.

قال العلماء: وهذا حق من حقوق الولد على والده إذا أراد أن يصيب الأهل. وإذا كتب الله بخروج الذرية فليكن أول ما يكون من الزوج والزوجة شكر الله عز وجل من أراد أن يبارك الله له في نعمة من نعمه فليشكر الله حق شكره؛ لأن النعم لا يتأذن بالمزيد فيها والبركة إلا إذا شكرت، وإذا نظر الله إلى عبده شاكراً لنعمه بارك له فيما وهب وأحسن له العاقبة فيما أسدى إليه من الخير.

فأول ما ينبغي على الوالد والوالده إذا رأيا الولد أن يحمدا الله على هذه النعمة وأن يتذكرا العقيم الذي لا ذريه له، وأن يسأل الله خير هذا الولد وخير ما فيه فكم من ولد أشقى والديه، وكم من ولد أسعد والديه، فيسأل الله خيره وخير ما فيه ويستعيذ به من شره ويعوذ بالله من ذرية السوء.

ثم إذا كتب الله ولادة الولد فهناك حقوق أجملها العلماء منها: حق التسمية أن يختار له أفضل الأسماء وأكرمها لأن الأسماء تشحذ الهمم على التأسي بالقدوة، ولذلك قال بعض العلماء: خير ما يختار الأسماء الصالحة وأسماء الأنبياء والعلماء والفضلاء لأنها تشحذ همة المسمى إلى أن يقتدي وأن يأتسي قال ﷺ كما في صحيح البخاري: «ولد لي الليلة ابن سميته على اسم أبي إبراهيم» فسمي إبراهيم على اسم أبيه، ولذلك قالوا: أنه يراعى في الاسم أن يكون اسماً صالحاً ولا يجوز

للوالدين أن يختارا الاسم المحرم وهو الاسم الذي يكون بالعبودية لغير الله كعبد العزى، ونحو ذلك من الأسماء كعبد النبي وعبد الحسين ونحو ذلك من الأسماء التي يعبّد فيها البشر للبشر؛ وإنما ينبغي أن يعبّد العباد لله جل جلاله وهي الأسماء المحرمة.

كذلك ينبغي أن يجتنب الولد الأسماء القبيحة والأسماء المذمومة والممقوتة والمستوحش منها حتى لا يكون في ذلك إساءة من الوالدين للولد.

قالوا: من حقه أن يختار له أفضل الأسماء وأحب الأسماء إلى الله ما كان للعبودية لله كعبدالله، وعبدالرحمن ونحو ذلك من الأسماء التي تكون مصدرة بالعبودية لله عز وجل. وينبغي أن يجتنب كذلك ما ذكره العلماء من الأسماء المكروهة التي فيها شيء من الدلال والميوعة التي لا تتناسب مع خشونة الرجل، والعكس أيضاً فإن البنت يختار لها الإسم الذي يتناسب معها دون أن يكون فيه تشبه بالرجال.

وقد جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمى بنته عاصية كما ذكر الإمام الحافظ أبو داود وغيّر النبي ﷺ اسمها إلى جميلة، فقد جاء عنه ﷺ في أكثر من حديث أنه غيّر الأسماء القبيحة. فمن حق الولد على والديه إحسان الاسم، والأسماء تكون للوالد ولا حرج أن تختار الأم لابنها وابنتها لا حرج في ذلك ولا بأس إذا اصطلحا بالمعروف، ومن حقوق الولد ان تكون التسمية في أول يوم من ولادته أو ثاني يوم أو ثالث يوم أو سابع يوم لا حرج والأمر في ذلك واسع، وقد جاء عنه ﷺ في حديث الحسن عن سمرة أنه ذكر العقيقة، فقال: «**كل غلام مرهون بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى**» فقال بعض العلماء: تستحب التسمية في السابع ولكن الجواز يجوز في أول يوم لحديث البخاري: «ولد لي الليلة ابن سميته على اسم أبي إبراهيم». فهذا يدل على مشروعية التسمية في أول يوم ولاحرج في ذلك والأمر واسع.

كذلك من حقه أن يختن الولد سواء كان ذكراً أو أنثى، فالختان مشروع للذكور ومشروع للإناث وهذه المسألة ليست محل نقاش حتى يسأل فيها غير العلماء أو يرجع فيها إلى آراء الناس وأهوائهم؛ وإنما ينظر فيها إلى الشرع يقول ﷺ: «**إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل**» فالذي يقول ليس في الشريعة دليل يدل على مشروعية ختان الإناث جاهل لا يعرف ما ورد في نصوص السنه عن رسول الله ﷺ فإنه قال: «**إذا التقى الختانان**» فبين ﷺ أن المرأة تختن كما يختن الرجل، قال العلماء: إن هذا يخفف من حدة الشهوة من المرأة وهذا من حقها أن تختن ويراعى ختانها، وكذلك الذكر يختن، هذا إذا كان في صغره.

كذلك أيضاً من أعظم الحقوق وأجلها حسن التربية والرعاية للابن والبنت،

ولقد رغب رسول الله ﷺ في هذا العمل الصالح حتى ثبت في الحديث الصحيح عنه أنه قال: «**من ابتلى بشيء من هذه البنات فرباهن فأحسن تربيتهن وأدبهن فأحسن تأديبهن إلا كن له سترا أو حجاباً من النار**». فهذا يدل على فضيلة تربية الابن وتربية البنت على الخصوص على طاعة الله، قال العلماء: إنما ذكر البنت لأنها هي المربية غداً لأبنائها وبناتها والقائمة على حقوق بعلها وبيت زوجها، فلذلك ذكر رعاية البنات وإلا فالفضيلة موجودة.

أيضاً لمن رعى الأبناء وقام عليهم وأدبهم فأحسن تأديبهم، ومن هنا قال ﷺ يبين حسن العاقبة لمن أنعم الله عليه بهذه النعمة وهي تربية الولد تربية صالحة ذكر حسن العاقبة فقال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقه جاريه وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له**». قال العلماء: إن الله عز وجل يحسن المكافأة لعبده على ما كان منه من رعايته لولده، فكما أحسن إلى ولده في الصغر يجعل الله له إحسانه نعمة عليه حتى بعد موته، بل إن الذي يربى في الصغر ويحسن تربية أولاده يرى بأم عينيه قبل أن يموت حسن العاقبة في ولده، ولهذا تجد من ربّى ابنه على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وعلى ما يرضي الله عز وجل، إذا كبر فرق عظمه ووهن وأصابه المشيب والكبر وجد ابنه بجواره يساعده ويقوم على شأنه ويحفظ أمواله أميناً راعياً حافظاً على أتم الوجوه وأحسنها.

وهذه هي ثمرة العمل الصالح وثمرة من ربى وتعب على تربية أبنائه، والعكس فمن ضيع أبناءه فإن الله يريه في الحياة قبل الموت شؤم ما كان منه من التقصير فيصيبه الكبر فيهن عظمه ويرقد ويجد من تعب الحياة وشظفها فيأتي ابناءه ليكيدوا له ويؤذوه ويذلوه ويروه سوط العذاب في الدنيا قبل الآخرة، وهذا كله من عواقب سوء التربية ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

فلذلك رغب النبي ﷺ في هذا العمل الصالح وهو تربيه الأبناء، رغب فيه لعلمه بحب الله لهذا العمل وحبه سبحانه لمن قام به على أتم الوجوه وأكملها وخير ما يربى عليه الأبناء وآكد وأوجب ما يرعى من تربية الأبناء التربية الايمانية.

فأول ما يغرس الوالدان في قلب الولد الإيمان بالله عز وجل الذي من أجله خلق الله خلقه وأوجدهم. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦] فأول ما يعتني به غرس الإيمان وغرس العقيدة لا إله إلا الله تغرس في قلب الصبي فيعتقدها جنانه ويقر بها وينطق بها لسانه وتعمل بها وبلوازمها جوارحه وأركانه قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فأول ما ابتدأ به وأول ما قام ودله عليه في وعظه ونصحه وتوجيهه أن ذكّره بحق

الله جل جلاله وبيّن له أن ضياع هذا الحق هو الظلم العظيم؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وليس هناك أعظم من أن يصرف حق الله ـ جل وعلا ـ في عبادته لغيره، كائن من كان ذلك الغير، ولهذا وعظ لقمان وابتدأ موعظته بهذا الأصل العظيم.

فأول ما ينبغي على الوالدين أن يغرسا في قلب الصبي الإيمان بالله عز وجل، فأطيب وأكمل وأعظم ما يكون من الأجر أن يغرس الأب وتغرس الأم في قلب الولد الإيمان بالله عز وجل وهو فاتحة الخير وأساس كل طاعة وبر، لا ينظر الله إلى عمل العامل أو قوله حتى يحقق هذا الأصل ويرعاه على أتم الوجوه وأكملها، ولذلك لما ركب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مع رسول الأمة ﷺ وهو صغير السن ركب وراء رسول الله ﷺ اختار عليه الصلاة والسلام أن يأخذ بمجامع قلبه وهو في صغره إلى توحيد الله جل جلاله: «ـ يا غلام ـ ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن» وانظر إلى الأسلوب: «ـ يا غلام ـ ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، ينفعك الله بها نفع الدين والدنيا والآخرة: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». ملأ قلبه بالله ملأ قلبه بالإيمان والعبودية والتوحيد وإخلاص التوجه لله سبحانه وتعالى.

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، فأخذ بكليته إلى الله، واجعل الله نصب عينيك كأنه يقول: اجعل الله نصب عينيك، إذا سألت فكنت في فاقة وضيق وشده فاسأل الله وإذا استعنت وألمّت بك الأمور ونزلت بك الخطوب والشدائد فاستعن بالله، ثم بعد ذلك بنفض يديه من الخلق (واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)، ولذلك ينبغي أن يحرص الوالدان على غرس الإيمان بالله.

يقول بعض أهل العلم ـ رحمة الله عليهم ـ إن الوالد مع ولده يستطيع في كل لحظه أن يغرس الإيمان، فالمواقف التي تمر مع الوالد مع ولده ويكون الولد بجواره يذكره فيها بالله ويذكره فيها بوحدانية الله، وأن الله قائم على كل نفس بما كسبت، وأنه وحده بديع السموات والأرض خالق الكون ومدبر الوجود لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه سبحانه، فإذا نشأ هذا القلب على الفطرة ونشأ هذا القلب على التوحيد نشأ

على الأصل العظيم الذي فيه سعادته وصلاح دينه ودنياه وآخرته ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] فتأتي هذه الكلمات النيرات والمواعظ المباركة إلى قلب ذلك الصبي وهو على الفطرة وهو على الإيمان لا تشوبه شائبة كما قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه».

فيغرس هذا الايمان على تلك الفطرة فتكون ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] وعلى هذا ينبغي أن يحرص الوالدان على غرس الإيمان بالله عز وجل، من التربية الايمانية الأمر بالصلاة قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢] وقال ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع» فمن حق الولد على والديه الأمر بالصلاة أن يأمراه بالصلاة في مواقيتها، قال العلماء: يجب على الوالد وعلى الوالدة أن يعلما الولد كيفية الوضوء وكيفية الطهارة، واستقبال القبلة، وصفة الصلاة، والهدي الذي ينبغي أن تؤدّى به هذه العبادة.

والله ما علمت ابنك الوضوء فصبّ الماء على جسده إلا كان لك مثل أجره ولا حفّظته الفاتحة أو شيء من كتاب الله فلفظ لسانه بحرف مما علمته إلا كنت شريكاً له في الأجر حتى يتوفاه الله عز وجل، ولو علّم ذريته فأنت شريك له في الأجر، فمن دعا إلى الهدى كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيئاً، وما علمته الصلاة فقام في ظلمة ليل أو ضياء نهار بين يدي الله إلا أجرت على قيامه وكان لك مثل أجره وثوابه، فخير كثير وفضل عظيم يتاجر فيه الوالد مع الله عز وجل وما قيمة الأولاد إذا لم يقاموا على طاعة الله عز وجل ويقاموا على منهج الله وتنشأ تلك النفوس على محبة الله ومرضاة الله والقيام بحقوق الله.

فلا خير في الولد إذا تنكر لحق الله وإذا ضيع الولد حق الله فسيضيع حقوق من سواه من باب أولى وأحرى، فينشئه على إقامة الصلاة ويعوده أنه إذا أذن المؤذن ينطلق إلى بيت الله عز وجل عامرة بذكره، ولذلك أمر النبي ﷺ للصلاة لسبع عند نعومة الصبي وصغر سنه حتى إذا كبر ألف ذلك الشيء واعتاده، كذلك ـ أيضاً ـ هذه التربية الايمانية تستلزم التربية على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وما يكون من الإنسان في معاملته مع الناس:

﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٧ ـ ١٩].

يقول بعض العلماء: هذه الآيات وصايا لقمان منهج في التربية على أكمل شيء، فهو يجمع بين حق الله وحق عباده، بل حتى حظ النفس فقد أمره بما فيه

قوام النفس واستقامتها حتى في أخلاقها مع الناس، ولذلك لا تصعّر خدك للناس كبرياء وخيلاء، ولا تمش في الأرض مرحاً فالانسان إذا أراد أن يربي ولده يربيه على مكارم الأخلاق، فكمال العبد في كمال خلقه كما قال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**» يعوّده الصدق في الحديث وينهاه عن الكذب يعوّده حفظ اللسان وينهاه عن أن يرتع لسانه بأعراض المسلمين بالغيبة والنميمة والسب والشتم واللعن، ولذلك نهى النبي ﷺ المؤمن أن يَعِدَ فلوه صغيره ثم لا يفي له، نهاه لأن الابن إذا رأى من والديه التقصير بالكذب في الوعد نشأ كاذباً ـ والعياذ بالله ـ فالولد يتأثر بوالديه فإن رأى منهما خيراً سار على ذلك الخير وأحبه، وإن رأى منهما الشر سار على ذلك الشر وأحبه والتزمه حتى يصعب أن ينفك عنه عند الكبر ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ فلذلك ينبغي أن يعوّد على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كما ذكر العلماء في قوله وعمله وقلبه يقولون في قلبه يغرس الوالد في قلب الابن حب المسلمين فلا يغرس في قلبه الحقد عليهم ولا يغرس في قلبه الحسد ولا يغرس في قلبه البغضاء وإنما يغرس في قلبه حب المؤمنين صغاراً وكباراً، حب المسلمين خاصة صالحيهم وعلمائهم ودعاتهم ينشئه على حبهم ولو أخذه معه إلى مجالس الذكر حتى ينشأ على حب العلماء والاتصال بهم والارتياح لهم كل ذلك من الأمور المطلوبة من الوالد حتى يقيم قلب الصبي على طاعة الله.

كذلك يُنشّئه في لسانه على ما ذكرناه في صدق القول وحفظه عن أعراض المسلمين، فإذا جاء يتكلم الابن يعرف أين يضع لسانه وإذا جاء يتحدث يعرف ما الذي يقول وما الذي يتكلم به، وهذا يستلزم جانبين ذكرهما العلماء:

الجانب الأول:

الأدب الإسلامي، من توقي المحرمات في الألسن وتعويده على أصلح ما يكون في طاعة الله من ذكر الله عز وجل كالتسبيح والاستغفار ونحو ذلك من الأذكار، ويحبب إلى قلبه تلاوة القرآن، هذا بالنسبة للجانب الديني.

الجانب الثاني:

الجانب الدنيوي يعوّده على الحياء والخجل فلا يكون صفيق الوجه سليط اللسان، ويقولون جريء والدك على الكلام هذا لا ينبغي إنما ينبغي أن يعوّد الحياء أولاً، ثم إذا كان جريئاً تكون جرأته منضبطة بالحياء، وقد كان ﷺ أشد الناس حياء من العذراء في خدرها. ويقولون الولد ما يصبح رجل إلا إذا كان جريئاً فتجده يترك الولد يتكلم أمام من هو أكبر منه سناً، وتجد الولد يتكلم حتى بقبائح الأمور فيتبسم الوالد ويقول هكذا الابن وإلا فلا، لا والله لا ينشأ الابن على السوء فيكون كاملاً

مهما كان، ولو كان الناس يظنون أن هذا كمال فإنه نقص، ولذلك لما جاء حويصة يتكلم قال له النبي ﷺ: «كبر كبر» فعلمه الأدب وهو كبير فقال له كبر كبر فإذا جلس بين الكبار لا يتكلم؛ وإنما يكف لسانه ويجلس حيياً مستحياً بالحياء الذي يتجمل به أمام عباد الله عز وجل، أما أن يعوّد الجرأة على الكلام والجرأة على الحديث، فهذا مما لا تحمد عقباه، فإذا تعود الجرأة من صغره ألفها في كبره؛ لكن يعوّد الحياء يعود السكوت والإنصات لكبار السن ولا يتكلم بحضرتهم إلا بقدر فإذا كبر وعقل الأمور تكلم عند موجب الكلام وصدر عن انضباط وحفظ لسانه؛ لأنه اعتاد ذلك وألفه ورُبي عليه.

هذا بالنسبة للأمور الدنيوية أنه يعوّد على أجمل ما يكون عليه من الكلام الطيب والعبارات الطيبه، فإذا خاطب من هو أكبر منه أمر بأن يخاطبه بالإجلال والإكبار والتقدير فلا يرضى الوالد لولده أن يخاطب كبير السن أمامه باسمه؛ وإنما يقول له: خاطبه يا عم أو نحو ذلك من الكلمات التي فيها إجلال وتوقير حتى ينشأ الصغير على توقير الكبير، وتلك سُنة الإسلام قال ﷺ: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولا يرحم صغيرنا» فلا بد من تعويد الابن على توقير الكبير واحترامه وتقديره وإجلاله.

وإذا وفق الله عز وجل الوالدين لحب التربية تربية الولد التربية الصالحة فليعلما أن ذلك لا يكون إلا بأمور مهمة إذا أراد الوالد والوالدة أن يقوما على تربية الولد فهناك أسباب تعين على التربية الصالحة:

أولها وأعظمها وأجلها: الدعاء فيكثر الوالدين من الدعاء للولد يسأل الله ـ عز وجل ـ أن يكون الولد صالحاً كما قال الله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأحقاف: ١٥] تكثر من الدعاء لولدك فلعلك أن توافق باباً في السماء مفتوحاً فيستجاب لك، الله أعلم كم من أم وكم من أب دعا لولده دعوة أسعدته في الدنيا والآخرة، أم سليم رضي الله عنها جاءت بأنس إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله خويدمك أنس أدْعُ الله له فدعا له النبي ﷺ بخيري الدنيا والآخرة فتسببت له في ذلك الخير رضي الله عنها وأرضاها.

فيحرص الوالد على كثرة الدعاء أن الله يصلح ذريته والله تعالى يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ولا يسأم ولا يمل ولا ييأس من رحمة الله ولا يقنط من روح الله، وإنما عليه أن يحسن الظن بالله عز وجل.

كذلك أيضاً الأمر الثاني: وهو من الأهمية بمكان مما يعين على التربية الصالحة القدوة الحسنة للأولاد الأبناء والبنات لا ينتظرون الكلام بمثل العمل والتطبيق فإذا نشأ الابن وهو يرى أباه على أكمل ما يكون عليه الأب ويرى أمه على

أكمل ما تكون عليه الأم، تأثر وأصبح متصلاً بهذه الأخلاق الحميدة والآداب الكريمة حتى تصبح سجية له وفطرة لا يتكلفها ولا يستطيع أن يتركها، كذلك البنت إذا نشأت وقد رأت من أبيها الصلاح والاستقامة على الخير ورأت من أمها الصلاح والاستقامة على الخير أحبت الخير وألفته، كيف يكون الابن صادقاً وهو ينشأ في بيت يسمع فيه أباه ـ والعياذ بالله ـ يكذب، فلربما طرق عليه الضيف فيقول: اذهب وقل له ليس بموجود، كيف ينشأ الابن صادقاً في قوله إذا كان والده يعلمه من خلال سلوكه وتصرفاته سيئ العادات ـ والعياذ بالله ـ وكيف تكون البنت على صلاح واستقامة وهي ترى من أمها التقصير في الصلوات والطاعات نائمة عن فرض الله ـ عز وجل ـ أو مضيعة لحق الله في قولها وفعلها فأهم ما ينبغي في التربية الصالحة القدوة وإذا كان الإنسان قدوة للغير تأثر الغير بكلامه وجعل الله لمواعظه وكلماته وتوجيهاته أثراً في النفوس وانتفع الناس وانتفع أولاده بما يقول ـ نسأل [الله] العظيم أن يرزقنا القول والعمل.

كذلك أيضاً من الأمور المهمة: وهي من حقوق الأولاد التي ينبغي رعايتها ونختم بها هذا الموضوع حق العدل بين الأولاد، وهذا الحق أشار إليه النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» فلا يجوز تفضيل الإناث على الذكور، كما لا يجوز تفضيل الذكور على الإناث كان أهل الجاهلية يفضلون الذكر على الأنثى وكانوا يقتلون الأنثى كما أخبر الله عز وجل في كتابه وقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨]. فإذا بشر بالإناث تمعر وجهه وتغير وكأنه يبشر بسوء ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ فلذلك أدب الله عز وجل المسلمين على الرضا بقسمة الله عز وجل، يرضى الإنسان بالولد ذكراً كان أو أنثى ولا يفضل الإناث عن الذكور ولا الذكور على الإناث؛ وإنما يعدل بين الجميع، كان السلف ـ رحمهم الله ـ يعدلون بين الأولاد حتى في القُبلة فلو قبّل هذا رجع وقبّل هذا حتى لا ينشأ الأولاد وبينهم الحقد، ولذلك قالوا: إن التفضيل يتسبب في مفاسد أولها يكون ضرره على الوالد نفسه فإنه ينشأ الأولاد على حقده وكراهيته.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله في الحديث الصحيح للنعمان: «**أتحب أن يكونوا لك في البر سواء؟**» قال: نعم. أي إذا كنت تريدهم في البر سواء فاعدل بينهم وكن منصفاً فيما تسدي إليهم، كذلك أيضاً من المفاسد التي تترتب على عدم العدل أنها توغر صدور بعضهم على بعض، ولذلك حصل ما حصل بين يوسف وإخوته لأنهم: ﴿قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف:

٨]، لذلك لا ينبغي أن يكون الوالد أو الوالدة في التصرفات والأعمال على تفضيل ولد على ولد وإنما يكون كل منهم على تقوى الله عز وجل فيحسنوا إلى الجميع سواء كان ذلك التفضيل من الجانب المعنوي أو الجانب الحسي المادي، فإذا أعطى الإبن شيئاً يعطي الأنثى كذلك، واختلف العلماء في كيفية العدل بين الذكر والأنثى ولهم قولان مشهوران:

القول الأول: قال بعض العلماء: المال الذي يعطيه للذكر يعطي مثله قدراً للأنثى سواء بسواء فإن أعطى هذا ديناراً يعطي هذه ديناراً.

القول الثاني: وقال جمع [من] العلماء: إن العدل بين الأولاد أن يعطي الذكر مثل حظ الأنثيين وهذا هو الصحيح؛ لأنه قسمة الله عز وجل من فوق سبع سموات وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] فإن الولد تنتابه من المصارف ويحتك بالناس وتكون مصارفه أكثر من الأنثى، ولذلك قالوا: يجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وهذا هو مذهب طائفة من أهل العلم وهو الصحيح؛ لأنها قسمة الله عز وجل ولا أعدل من الله بين خلقه، الله عز وجل عدل بين عباده ففضل الذكر على الأنثى من هذا الوجه وليس في ذلك غضاضه على الأنثى ولا منقصة.

كذلك أيضاً قد تكون هناك موجبات خاصه استثناها بعض العلماء من العدل فقالوا: إذا كان أحد الأولاد يتعلم أو يقوم على أمر من الأمور المختصه به يحتاجها لصلاح دينه أو دنياه فلا بأس أن يخص بالعطيه إذا كان عنده عمل ومحتاج إليه. قالوا: لأنه من العدل أنه لما تفرغ للعلم أن يعان على تعلمه، ولذلك يعطى حقه لما تفرغ لهذا العلم الذي فيه نفعه ونفع العباد.

وهكذا إذا تفرغ لكي يتعلم حدادة أو صناعة أو نحو ذلك، فإن والده إذا أراد أن يعطيه من أجل هذا التعلم ينفق عليه على قدر حاجته، ولا يلزم بإعطاء الأنثى مثل ما يعطيه أو نصف ما يعطيه؛ لأن الأنثى لا تعمل كعمله فلو أعطى الأنثى مثل ما يعطيه فإنه في هذه الحالة قد ظلم الذكر؛ لأن الأنثى أخذت من دون وجه ومن دون استحقاق.

وعلى هذا، فإن من حق الأولاد على الوالدين العدل سواء كان ذلك في الجانب المعنوي أو الجانب المادي، وكان بعض العلماء يقول: ينبغي على الوالد أن يرعى أحاسيسه ومشاعره، وكذلك على الوالدة. فعلى كل منهما أن يرعى الأحاسيس والمشاعر خاصة بحضور الأولاد فلا يحاول الوالد أن يميل إلى ولد أكثر

من الآخر أثناء الحديث أو يمازحه أو يباسطه أكثر من الآخر؛ وإنما يراعي العدل في جميع ما يكون منه من التصرفات لمكان الغيرة.

وهيا نأخذ بيد الأب والأم الراغبين في الخلوص إلى تربية الأبناء على الكتاب والسُّنَّة ونهج السلف الصالح ونقدم لهم خلاصة الفكر وروعة الهدف في موضوع حديث العنوان والمضمون:

١٠٠ فكرة لتربية الأسرة

١ ـ إن التربية عبادة يؤجر عليها العبد، ويثاب على إحسانه فيها.

ولا بد فيها من إخلاص النية وتجريدها لله تعالى، فلا يتعب المسلم في التربية ليقال عنه إنه أحسن فيها، أو ليشار إليه بالبنان بأنه قد بذل الغاية في البحث عن سبل الهداية لأهل بيته، أو ليقال: يا له من مربٍّ بارع! وتربوي ناجح!

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات ...**».

ولا بدّ من الموافقة والمتابعة لرسول الله ﷺ. فخير الهدي هديه، وأكمل الطرق طريقته، وأبلغ المسالك سنته.

فالمتابعة له ﷺ في تربيته لأهل بيته أمر لازم لا خيار فيه ولا مصرف عنه، وثمراته حاصلة، ونتائجه عاجلة، ولا بأس من الاستفادة من أساليب التربية الحديثة بما يوافق ما كان عليه وما جاء به ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**».

وفي استقراء سننه ﷺ ودراستها في كيفية تربيته لأسرته غنية عن غيرها، وكفاية عما سواها، فاقصد البحر، وخل القنوات، وفي تنفس الفجر في الصباح ما يغني عن لفح فتيل المصباح.

٢ ـ احتساب الأجر على الله تعالى فيما يبذل في هذه التربية، فهي شاقة لا راحة معها، وطويلة لا انتهاء لها، ومكلفة لا شحاحة فيها.

وليس للعامل من عمله إلا ما احتسب.

فأكرم الهمّ ما كان على الأهل، وأحب النفقة ما بذلت على القرابة، وأفضل الجهود ما عملت مع ثمرات القلوب.

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل دينار ينفقه الرجل دينار على عياله ...**».

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة؛ وهو يحتسبها، كانت له صدقة**».

فالتربية كل الناس يمارسونها، وليس كل الناس يؤجرون عليها.. فتنبه!

٣ ـ إن الهداية ـ بمعنى خلق الإيمان والتوفيق له والثبات عليه ـ ليست في يدك، وإنما بيد من يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، وإنما عليك هداية الدلالة والارشاد والنصح والتوجيه، فلا تقصر فيها أو تغفل عنها.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: ... يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**».

ومن بذل النصح لزوجته فما أرعوت أو اهتدت فليس عليه إلا أن يقلب دفتي كتاب ربه، فيقرأ فيه قوله سبحانه ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

فيا لها من سلوى وإن عظمت البلوى!

ومن بذل وسعه وعمل طاقته مع أبنائه فما زادهم إلا إصراراً وإعراضاً، فليسمع ـ في أسىً وأسف ـ إلى صرخة نوح النبي المبتلى الصابر عليه السلام في ابنه الكافر الفاجر: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٢ ـ ٤٦].

فأي تسرية عن القلب وتسلية للعقل أعظم من هذه؟!

ومن جهد جهده وبذل ما عنده لأبيه وأمه، فما رأى بارقة هداية أو علامة استجابة، فلا أقل من أن يقرأ قول إبراهيم الخليل عليه السلام إمام التوحيد والهداية لأبيه آزر زعيم الشرك والغواية: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٤، ٤٥].

فتسكن النفس المحزونة، ويهدأ الخاطر المكدود!

فهل آن للنفوس أن تأخذ من هذه الدروس؟!

٤ ـ أنت عبد فقير مسكين! لا تملك لنفسك حولاً ولا طولاً، ولا تملكها لغيرك من باب أولى!

فلا تعتمد على نفسك، ولا تركن لقدرتك، ولا تثق بغير ربك، ففوّض أمرك إليه، وتوكل عليه، واستعن به.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وأكثر من دعائه ورجائه، واللجوء إليه، والتذلل بين يديه.

ولا تقل بذكائي ومعرفتي، وجهودي ونباهتي.. بل أنت ـ في كل الأحوال ـ فقير إليه، لا غنى لك عنه، ولا مهرب لك منه. ووالله لو وكلك الله إلى نفسك طرفة عين لهلكت فإنه إذاً يكلك إلى خور وضعف وجهل وبلادة!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**».

٥ ـ لا يشك عاقل، أو يماري مجادل في أهمية القدوة الصالحة في كل ميدان، فنفسك ميدانك الأول، فإن قدرت عليها فأنت على غيرها أقدر وعلى سواها أمكن، فابدأ بها فاصلحها، يصلح الله لك رعيتك، ومن هم تبع لك، فإنهم يوم يسمعون منك ما يناقض ما صدر عنك، يقع الخلل، ويعظم الزلل، ويصبح الدين عندهم شعارات براقة، وكلمات جوفاء ليس لها في حياتهم أثر، ولا في واقعهم وَقْع.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

٦ ـ اللين كالسكين، يقطع دون وجع، والرفق نعمة عظيمة تؤثر في النفوس الكريمة ما لا تؤثر القسوة والغلظة!

قال الله تعالى ممتنًا على نبيه الذي أرسله رحمة للعالمين: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

عن عبيد الله بن معمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أعطي أهل بيت الرفق إلا نفعهم، ولا منعوه إلا ضرهم**».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: «**ما يكون الرفق في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**».

٧ ـ سعة البال، وعدم الاستعجال، وطول النفس في التربية قضايا مهمة، فبيت عشعش المنكر فيه لسنوات عديدة، وصفات تطبعت بها النفوس لأعوام مديدة، يصبح من العسير أن تزول جملة واحدة في يوم وليلة.

فلا بد من التدرج في التغيير، والبدء بالأهم فالمهم، وعدم استعجال النتائج، فطريق الألف ميل يبدأ بخطوة واحدة، ومن سار على الدرب وصل، ومن أدام قرع الباب يوشك أن يفتح له!

٨ ـ لا تتأخر في التربية أو تؤجلها عن حينها، إلا لمسوغ شرعي ومصلحة متحققة؛ فالنفس تربى من أول يوم تبصر فيه الحقيقة، وتفيق على معالم الطريق.

والزوجة تبدأ تربيتها مع أول خطوة تخطوها في بيتها الجديد. والأبناء من أول يوم يستهلون فيه صارخين من بطون أمهاتهم.. لا تعجب!

فالابن الرضيع الذي تعوّد على البكاء ليحصل على رغبته، ينطبع هذا في ذهنه ويستقر في نفسه، فلا يحسن بعد ذلك إلا العويل والبكاء!

٩ ـ الحذر من فتنتهم في دينهم، وصدهم عن الحق والثبات عليه بما يجلب لهم من أسباب الضلال والانحراف فيما يقرأون ويسمعون ويبصرون، فهم من جملة البشر ومن عداد الخلق، يشعرون ويحسون، ويتأثرون ويؤثرون، وأمر التربية يستلزم التخلية ثم التحلية، ويتطلب التطهير والنزع، ثم التأثير والوضع. ولكي تزرع الأرض البور، طهّرها من الآفات، وامنع عنها المهلكات، ثم ازرع فيها ما تشاء، وطب نفساً بما تجني يوم الحصاد.

١٠ ـ لا تسكت عليهم في منكر، ولا ترضَ لهم بمعصية، ولا تقرّهم على خطيئة، فمن مقتضيات محبتهم، ومستلزمات مودتهم؛ حمايتهم من أنفسهم ـ وهي أول أعدائهم ـ وحمايتهم من أعدائهم الذين يتربصون بهم، ويكيدون لهم، ويريدون أن يستأصلوا شأفتهم.

وبيتك مملكتك، فكيف ترضى أن يُعصى فيه ربك؟!

تأمل ماذا فعل رسول الله ﷺ مع عائشة رضي الله عنها وهي أحب الناس إليه وأقربهم منه، عندما دخل عليها فوجد في بيتها تصاوير.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهية. قالت: يا رسول

الله! أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذنبت؟ قال: « **ما بال هذه النمرقة؟** ». فقالت: اشتريتها لتقعد عليها وتتوسدها، فقال: « **إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم** ». وقال: « **إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة** ».

١١ ـ الجد مطلوب، والاهتمام مرغوب، ولكن كلما زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده، فالتشدد في غير موضعه، والقوة في غير حينها، والحرص المبالغ فيه، كل هذه الأمور لها آثار سلبية في النفوس؛ فهي تولد التمرد والعناد، وتكسب النفرة والبعاد.

ولكل شيء جعل الله قدراً؛ فالواقعية تخرج الإنسان من أزمة الوسوسة، فكل الناس خطاء، ومن أين لنا بمعصوم من الزلل، ومبرأ من الخلل بعد النبي المعصوم ﷺ؟!

١٢ ـ نحن نحسن اللوم والتقريع، ونجيد التبكيت، والتوبيخ عند حدوث الأخطاء أو الخطايا.. ولكننا لا نحسن الثناء ـ بالحسنى ـ على المحسنين!

نتقن الحساب والعقاب، وربما نفشل في الجزاء والثواب! نجيد التعجيز ونسيء في التحفيز!

حقيقة مؤلمة يشهد الواقع بها إلا عند من عرف لأهل الفضل فضلهم، فأولاهم ما يستحقون، وأعطاهم ما يلهب مشاعرهم، ويزكي عزائمهم، وينمي مواهبهم.

ولعلك عندما لُمْتَ متكاسلاً عن عمل أو متثاقلاً عن مهمة، قال لك في مرارة ظاهرة: أحسنت، وعملت، وبذلت فلم أجد من يكرمني! ولم أحصل على ما أستحق على بذلي وعملي.. تساويت مع غيري فلماذا أجهد نفسي؟!!

هل تأملت أين موطن الخلل؟! وأين يكمن الزلل؟!

فنحن مطالبون في بيوتنا ـ وغيرها ـ أن نحسن إلى المحسنين ونشكر العاملين، تثبيتاً لهم وتحفيزاً لفهمة غيرهم..

عدلاً معهم.. فإن الله يأمر بالعدل.

وإحساناً لمن له سابقة الفضل..

و ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من لا يشكر الناس لا يشكر الله** ».

١٣ ـ وثمة خلل آخر في موضوع الجوائز والحوافز ينبغي أن يتداركه من يهتمون بها ـ على قلتهم! وهو أن جوائزهم ـ في الغالب ـ مادية دنيوية، لمتاع زائل وعرض

من الدنيا قليل، ولكن أين من يعطيهم هذه الجوائز ـ ولا بأس بها ـ مع الأصل الأصيل، وهو تذكيرهم بالأجور الأخروية يوم القيامة، ويلفت أنظارهم ويستحث اهتمامهم إلى ما أعد الله من أجور كريمة وحسنات عظيمة لمن أصلح نفسه وقوّم عوجه، ولزم الصلاح، وعمل خيراً يسعد به في الدار الآخرة.

تنبيه مهم:

هذه مائة فكرة استقيتها من أرض الواقع، وأخذتها ممن جربها وأرسلت بها إليك؛ فخذ منها ما تقدر عليه، وما يغلب على ظنك نفعه، وما يوافق إمكاناتك، وما ينسجم مع ميول أهل بيتك، وما يوافق طابع حياتهم وقدراتهم.

فاستعن بالله، ولا تعجز!:

أولاً: علمهم:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

١ ـ عقد درس يومي أو أسبوعي ـ على الأقل ـ مع أهل البيت، ويستحب التنويع فيه؛ فمرة في السيرة، وأخرى في الفقه، وثالثة في العقيدة، ورابعة في الآداب والسلوك، وخامسة في المناقب والفضائل.

ومنه يتعلم الأهل الانضباط في الزمان والمكان، ويزيد علمهم، ويزكو عملهم، وتقوى صلتهم ببعضهم، وتزيد ثقتهم بولي أمرهم.

وقت مقترح: بعد فجر الخميس لأنه يوم إجازة، أو بعد عصر الجمعة.

٢ ـ حفظ القرآن الكريم، وذلك بتحديد آية أو جملة آيات، تُعطى كواجب صباحي لهم، ويتم تسميع المقطع فيما بينهم في وقت محدد متفق عليه بينهم.

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والديه حلتان لا يقوم بهما الدنيا، فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»**.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم).

يمكن استغلال الركوب الجماعي للسيارة للتسميع والمراجعة وتصحيح التلاوة، وسماع الآيات من القراء والمشايخ.

٣ ـ حفظ أحاديث رسول الله ﷺ. وينتقى لهم ما يناسبهم، وما تدعو إليه الحاجة.

وطريقته: بأن يكتب الحديث في ورقة صغيرة، وتصور بعدد من له القدرة

على الحفظ، وتوزع في الصباح عليهم، ويتم التسميع في وقت محدد منضبط.

يمكن الاستفادة من كتب الحديث كالصحيحين، والأربعين النووية، ورياض الصالحين، وصحيح الكلم الطيب، وصحيح الترغيب والترهيب، وصحيح الجامع.

يستحب ـ لربط النشاط ببعضه ـ تفسير الآيات المحفوظة وشرح الأحاديث في الدرس الأسبوعي.

٤ ـ إنشاء مكتبة مقروءة في البيت تناسب جميع المستويات، وتتوافق مع كل الأذواق المشروعة، لتصبح حديقة غناء، يدخل إليها من يريدها فيجد فيها بغيته؛ ففيها ما يناسب طالب العلم، والرجال والنساء والأطفال، والمتخصص، والمطلع.

٥ ـ إعداد مكتبة سمعية: تحتوي على أشرطة متنوعة تناسب جميع الأعمار والمستويات، وتتناول أكثر القضايا والموضوعات، وتتوافق مع الأذواق والرغبات المشروعة، للعلماء والمشايخ والدعاة، ويتم تحريك المكتبة، بعدة طرق منها:

- السماع للأشرطة. ـ تفريغها على الورق.
- تلخيص ما ورد فيها. ـ فهرسة موضوعاتها.

يمكن تجهيز ركن في المكتبة للإهداء والدعوة.

٦ ـ القصص: وهي من جند الله تعالى، يحرك الله بها العقول، ويثبت بها القلوب، وتستنبط منها الدروس والعبر، ويمكن استخدامها كوسيلة دعوية من خلال سرد بعض القصص النبوية، وما ورد في كتب التاريخ على الأهل وخصوصاً في حال التعب البدني والنفسي.

فما أجمل أن يسمع الشباب في المنزل قصة أصحاب الأخدود!

وما أفضل أن تسمع الزوجات قصة حديث أم زرع!

وما أعظم أن يسمع الكبار بعض قصص الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله عليهم أجمعين!

٧ ـ الاشتراك في مجلات دورية ذات طابع ومنهج إسلامي منضبط، سواء كانت أسبوعية أو شهرية أو فصلية أو سنوية، وفي ذلك دعم للمجلة لتستمر في العطاء، والأهم أن يوجد للأهل بديل إسلامي مبارك وسط هذا الزيف الإعلامي الذي ملئت به البيوت.

يمكن أن تكون قسيمة الاشتراك في المجلة هدية ومكافأة جميلة لواحد من أهل البيت أجاد أو أفاد في عمل أو مناسبة.

٨ ـ التسجيل في دور وحلقات تحفيظ القرآن الكريم، سواء للكبار في المساجد أو في دور الحافظات للنساء، وخصوصاً أماكن التحفيظ التي بها نشاط دعوي مميز.

وهذه الفكرة من أعظم ما ينبغي أن يحرص عليه المسلم في تربيته لأهله؛ فالمرأة ستجد من الصالحات في هذه الدور ما يغنيها عن كثير من مريضات القلوب فارغات العقول.

يوجد بكثير من دور التحفيظ روضة للأطفال يتعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة وبعض الآداب الإسلامية المناسبة لأعمارهم.

٩ ـ حضور المحاضرات العامة في المساجد والمناشط الدعوية كالدورات العلمية، وفي ذلك من الفائدة ما فيه من الأجور المترتبة عليه، وتكثير سواد الصالحين، والاستفادة مما يطرح من العلماء والدعاة وطلاب العلم.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد إذا استأذنوكم**».

للمحافظة على المعلومات المستقاة من المحاضرة أو الدرس يستحب طرح بعض الأسئلة عنها أو تلخيص ما ورد فيها.

١٠ ـ طلب الزيارة للبيت من الدعاة وطلاب العلم وطرح القضايا التي يحتاجها البيت بالتلميح والتصريح حسبما يقتضيه الحال.

وخصوصاً الداعيات، ومن عرفن ببذل الخير للغير، فيا له من أثر ما أبلغه! فالمرأة تتأثر بما ترى أكثر مما تسمع.

١١ ـ السبورة: ويتم ذلك بتعليق سبورة في أحد الجدر البارزة في البيت مما يقع عليه النظر كثيراً، يكتب فيها ما يستفيد منه الأهل كحكمة اليوم، وبعض الآيات والسور، وخصوصاً الأذكار، فمع كثرة النظر إليها يعلق شيء منها بالعقل، وبشيء من التركيز عليها تحفظ عن آخرها.

١٢ ـ المسابقات الثقافية: وتكون بإعداد جملة من الأسئلة المناسبة لقدرات ومهارات الموجودين، وعليها بعض الجوائز المناسبة، وأفضل أوقاتها الرحلات، والنزهات خارج المنزل لشغل الوقت بما ينفع، ولزرع روح التنافس ـ في الخير ـ فيما بينهم، وتوصيل بعض المعلومات إليهم من طرف خفي!

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ولا تحت ورقها**»، فوقع في نفسي

النخلة، فكرهت أن أتكلم وثمّ أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما، قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة». فلما خرجت مع أبي، قلت: يا أبتاه وقع في نفسي النخلة. قال: ما منعك أن تقولها لو كنت قلتها كان أحب إليّ من كذا وكذا.

ليس المقصود من الأسئلة التعجيز، وإنما الهدف توصيل رسالة معينة عن طريق السؤال والجواب.

١٣ ـ يسمع الرجال خطب الجمعة والمواعظ والدروس في المساجد وغيرها، فما نصيب أهل البيت منها؟!

إن من أعظم النفع لهم أن يلخص الرجل ما سمع منها في ذهنه أو في ورقة، لينقله إليهم حال رجوعه لهم، فيثبت ما سمع في ذهنه، ويستفيد منه من لم يسمعها.

١٤ ـ إشراكهم في الشعائر التعبدية التي تحصل في المواسم الشرعية، كالمشاركة في عيد النحر بذبح الأضاحي، وتوزيع زكاة الفطر في رمضان على مستحقيها.

١٥ ـ ينتقي بعض الكتب المفيدة، ويكلف أهل البيت كلهم أو بعضهم بتلخيص ما فيها من معلومات، وإعداد تقرير موجز عن الكتاب، ولا بأس من تكريمهم بجوائز كحوافز.

١٦ ـ ربطهم بكبار العلماء وأهل العلم الأمناء، وذلك بإعداد قائمة بأسماء العلماء والمفتين، وأرقام هواتفهم، وأرقام مكاتب الدعوة والإفتاء، وتعليقها في مكان مناسب في البيت، ليتصل الأهل بالعلماء في كل قضية تعنّ لهم أو تقع عليهم، وليستقوا بدلوهم من مورد العلماء الرقراق بصفاء المعتقد ونقاء المنهج، والمتدفق بصلاح المسلك وصدق الديانة.

١٧ ـ الحرص على السكن بجوار المساجد، ليسمع أهل البيت الأذان والخطب والمواعظ والدروس، وليشاركوا في الأنشطة الدعوية والاغاثية التي تقام فيه.

١٨ ـ استغلال الفسح والنزهات في إثراء معلوماتهم وزيادة تحصيلهم العلمي والمعرفي.

رأيت في حديقة الحيوان من ألزم أبناءه بورقة وقلم يكتبون المعلومات العلمية عن كل حيوان أو طائر يرونه.. ماذا يأكل ويشرب؟ وأين يعيش؟ وأين ورد ذكره في القرآن الكريم أو السُّنّة النبوية؟ وهل هو مأكول اللحم أو أنه محرم والعلة في ذلك؟ وهل هو مستأنس أو أنه وحشي؟

وهم ـ في حرص شديد! ـ يتمتعون بما يرون، ويكتبون ما يسمعون، ويتعلمون وهم يلعبون.

فتحسرت على من يضيع وقته في الملاهي والمأكولات دون تزكية للنفس أو إثراء للمعلومات!

١٩ ـ اقتناء الحاسب الآلي كبديل مناسب لقنوات التخريب، مع وجوب السيطرة عليه، وضبط ما يعرض فيه.

توجد برامج إسلامية رائعة كبرنامج القرآن الكريم والحديث الشريف وبعض الكتب المستنسخة فيه، وأحسب أننا في زمن نحتاج فيه هذه الثورة العلمية فيما يعود على ديننا ودعوتنا وعلينا بصلاح وخير.

ويمكن استخدام شبكة الإنترنت في الدعوة إلى الله تعالى، والذود عن حياض الدين ضد انتحال المبطلين وتحريف الغالين، مع وجوب الحذر منها والمراقبة لها.

٢٠ ـ استخدام الفيديو ـ لمن يدين لله تعالى بجوازه ـ كوسيلة تعليمية وتربوية وتثقيفية وترفيهية، وعرض البرامج الإسلامية المناسبة الخالية من المخالفات الشرعية.

ينبغي تحديد وقت المطالعة فيه، ومراعاة الضوابط الطبية لاستخدامه.

٢١ ـ الألعاب الترفيهية التي تنمي الذكاء وتقوي الذاكرة وتزيد في المعلومات، وتكسب بعض المهارات الفكرية والعقلية كالمكعبات وبعض الألعاب من المحرمات (الصور، القمار، التجسيم المحرم، المعازف، المعتقدات الفاسدة، الصلبان، الجرس، وبعض شعائر الديانات الباطلة..).

٢٢ ـ الاستماع لإذاعة القرآن الكريم، ومحاولة تمديد شبكة من المكبرات والسماعات داخل المنزل لسماع هذه الإذاعة المباركة، وخصوصاً مكان تواجد الأسرة بكثرة مثل المطبخ وغرفة الجلوس.

٢٣ ـ تسجيل الأبناء والبنات في مدارس تحفيظ القرآن الكريم الحكومية أو الأهلية أو المعاهد العلمية الشرعية والكليات الشرعية التخصصية في الجامعات، وتشجيع البارزين منهم في ذلك بمواصلة الدراسة للمستويات العليا.

٢٤ ـ استغلال وقت ركوب السيارة مع الأسرة لتنفيذ برنامج إلقائي منوّع كهيئة الإذاعة، فهذا للتقديم وهذا للتقييم، وآخر يشارك بآية، وغيرها بتفسيرها والتعليق عليها، وآخر بحديث شريف، أو حكمة مفيدة أو قصة معبرة أو موقف مؤثر أو حذاء جميل أو طرفة مباحة، فهو برنامج متكامل منهم وإليهم.

يمكن تكريم أفضل مشاركة في البرنامج ـ ولو بالثناء والإطراء ـ.

ثانياً: عملهم:

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

٢٥ ـ الأمر بالعبادة والإلزام بها، والتعويد عليها، مثل الأمر بالصلاة، والسؤال عنها، وتفقد من يقصر فيها، ومحاسبة ومعاقبة من يتهرب منها.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢].

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**».

يستحب ترغيبهم في النوافل كالوتر والضحى والسنن والرواتب وإعطائهم جوائز وحوافز عليها.

٢٦ ـ الصيام المشترك من أهل الدار جميعاً، ليس في الفريضة فقط، بل حتى في النوافل، كصيام يومي الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، وست من شوال، ويوم عاشوراء وتاسوعاء، ويوم عرفة لغير حاج، وصيام داود عليه السلام. عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار، التي حول المدينة: «**من كان أصبح صائماً، فليتم صومه. ومن كان أصبح مفطراً، فليتم بقية يومه. فكنا، بعد ذلك نصومه، ونصوم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله، ونذهب إلى المسجد. فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إياه عند الإفطار**». وفي رواية: «ونصنع لهم اللعبة من العهن (الصوف)، فنذهب بها معنا، فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم، حتى يتموا صومهم».

يمكن تكريمهم على هذا الصيام بجلب الطعام الذي يحبونه على مائدة الإفطار أو الخروج بهم في نزهة.

٢٧ ـ تفطير الصائمين في البيت والمسجد والحارات الشعبية للأسر الفقيرة، ويتم ذلك بمشاركة جميع الأهل، فالنساء للإعداد والطبخ، والرجال للتوزيع والتقديم.

٢٨ ـ السفر التعبدي للمسجد الحرام بمكة، والمسجد النبوي بالمدينة، والمسجد الأقصى بالشام، قريباً ـ إن شاء الله ـ والمكث بجوارها لعدة أيام، وخصوصاً في شهر رمضان المبارك.

يستحب تذكيرهم بسيرة النبي ﷺ ومواقفه الشريفة، ومآثر صحابته الكرام وبذلهم وتضحياتهم من أجل دينهم في كل موقف وعند آية مناسبة، واستغلال البقاع للتذكير بالوقائع من غير تكلف أو إحداث.

٢٩ ـ بث روح التنافس بين الأبناء الذكور على المسابقة إلى المسجد والحرص على الصف الأول، وإعداد جدول لهم بذلك، لتكريم المثابر الفائز، ومحاسبة المقصر العاجز.

يمكن التنسيق مع إمام المسجد للثناء على الفائز وتكريمه والدعاء له.

٣٠ ـ خروج الأهل للعبادات التي يشرع للجميع الخروج إليها كصلاة العيدين والاستسقاء، حتى وإن كانت النساء قد أصبن بالأعذار الشرعية كالحيض والنفاس ليدركن الخير مع الناس.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ يأمر بناته ونساءه أن يخرجن في العيدين).

٣١ ـ تدريبهم على الصدقة والبذل في سبيل الله تعالى وإعطاء الفقراء والمساكين من مال الله الذي آتاهم.

فعندما يرى الوالد مسكيناً أو فقيراً، فإنه يعطي أحداً من أهل البيت مبلغاً من المال، ويأمره أن يعطيه للفقير، ويحتسب الأجر وهكذا يربي فيهم حب البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله تعالى.

الذكور مع الذكور، والإناث مع الإناث.

٣٢ ـ تجهيز صندوق خيري جميل المنظر لجمع المال للمشاركة في أفعال الخير، ويأمرهم بوضع المال فيه، ويوضع في مكان بارز ومناسب في البيت.

ويحتوي هذا الصندوق على عدة خانات، فمنها جزء للمشاركة في بناء المساجد، وآخر للدعوة إلى الله تعالى، وآخر لطباعة الكتب، وآخر لكفالة الأيتام ورعايتهم، وآخر لمجالات خيرية ودعوية مختلفة.

يمكن للضيوف المشاركة والمساهمة فيه.

يفتح الصندوق ـ بعد حين ـ بمحضر الجميع، ويشاركون جميعاً في عدّ المال، وتوزيعه، ليتولد فيهم حب العمل الجماعي.

٣٣ ـ القيام بعمرة جماعية مع الأهل، وتعليمهم شعائر ومشاعر هذا النسك المبارك.

كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما إذا مرت بالحجون، تقول: (صلى الله على رسوله وسلم، لقد نزلنا هاهنا ونحن يومئذ خفاف الحقائب، قليل ظهرنا، قليلة أزوادنا، فاعتمرت أنا وأختي عائشة والزبير وفلان وفلان..).

٣٤ ـ الحج مع حملة مناسبة أو مع مجموعة مباركة تتميز بحسن الاستقامة، وجدية الالتزام، مع أهمية التركيز على النشاط الدعوي في هذه الرحلة المباركة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ لقي ركباً بالروحاء، فقال: «**من القوم**» قالوا: المسلمون. فقالوا: من أنت؟ قال: «**رسول الله!**» فرفعت إليه امرأة صبياً، فقالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم، ولك أجر**».

٣٥ ـ متابعتهم على الأذكار اليومية (الذكر المطلق ـ والذكر المقيد بزمان أو مكان أو عدد أو صفة) كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات والأحوال والمناسبات، وإشعارهم بأهميتها، وما يترتب عليها من حفظ وصيانة في الحياة الدنيا، وأجور عظيمة وحسنات كريمة في الدار الآخرة.

ويكون ذلك بالسؤال عنها، والتذكير بها، ولإيقاعها أمامهم، وبالمدح لمن فعلها، والثناء على من قام بها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟!**» قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه وزنة عرشه، ومداد كلماته**».

وعن علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها... فقال رسول الله ﷺ لهما: «**ألا أعلمكما خيراً مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أن تكبرا الله أربعاً وثلاثين، وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**».

٣٦ ـ مشاركة الجيران في أفراحهم وأتراحهم، بل حتى في الطعام والشراب، وطبعهم على هذا الخلق الجم، وهذه المشاركة الفعالة.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صنعت مرقة فاكثر ماءها، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف**».

٣٧ ـ تحذيرهم من الحرام، والأخذ على يد مرتكبه، وتذكيرهم بالمراقبة الإلهية

لهم، والمعاقبة الربانية على قبح فعلهم، ليستقر في نفوسهم شناعة الحرام، وقبح الإجرام، وسوء السيئات والآثام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: «**كخ.. كخ، ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا ـ تعني: قصيرة ـ فقال: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجتها**».

٣٨ ـ ترغيبهم في التصدق بما هو قديم ونافع كالملابس القديمة، والأواني المستخدمة، والأثاث المستعمل على المحتاجين لها والراغبين فيها، بدلاً من إلقائها، والتخلص منها.

٣٩ ـ تحذيرهم من التبذير والإسراف في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومركبهم ومسكنهم وجميع شؤونهم.

مثاله: أن يأكل كل واحد منهم ما يسقط منه من طعام طيب على سفرة الطعام حتى لا يرمى في القمامات.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها، فليمط ما كان بها من أذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان**».

أو جمع ما يبقى من طعام لتأكله الحيوانات الأليفة المستأنسة أو الطيور كالحمام والدجاج، فـ«**في كل كبد رطبة أجر**».

٤٠ ـ متابعتهم على الأعمال الحميدة والأقوال المفيدة في مسلكهم اليومي، والحرص على تحليهم بالآداب الشرعية كآداب الطعام والشراب واللباس والنوم والاستئذان والدخول والركوب.

ويشمل ذلك تعليمهم إياها، وتعويدهم عليها، وتذكيرهم بها، وترغيبهم فيها.

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ. وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك**».

٤١ ـ الاستفادة من كل شيء يمكن أن يستغل قبل طرحه ونبذه، ليتعلم الأهل المحافظة على ما لديهم من ممتلكات، ويسلموا من التبذير والإسراف.

عن أبي حازم، قال: سألت سهل بن سعد رضي الله عنه فقلت: هل أكل رسول

الله ﷺ النقي؟ فقال سهل: ما رأى رسول الله ﷺ النقي[1] من حين ابتعثه الله حتى قبضه. قال: فقلت: هل كانت لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه، قال: قلت: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه، فيطير ما طار، وما بقي ثريناه فأكلناه».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أتي النبي ﷺ بتمر عتيق، فجعل يفتشه، يخرج السوس منه).

وفي رواية: (كان يؤتى بالتمر فيه دود، فيفتشه، يُخرج السوس منه).

٤٢ ـ حثهم على اقتطاع يومي أو أسبوعي ـ ولو كان قليلاً ـ من مصروفهم للمشاركة في أفعال الخير والإحسان، ويمكن تسميته بالتوفير الخيري مثلاً.

٤٣ ـ تعويدهم على النظافة العامة الداخلية والخارجية مع النفس ومع الآخرين في البيت وخارجه.

وليرفع شعار: (دع المكان أحسن مما كان، قدر الامكان، فإن لم يكن بالإمكان فكما كان).

ما أجمل أن ترى رب أسرة مع أسرته يقومون بتنظيف حديقة عامة مما فيها من القاذورات بعد أن جلسوا فيها وتمتعوا بها!

٤٤ ـ أن يجعل لكل فرد في الأسرة دفتر (كشكول) للفوائد (كناشة معلومات متنوعة) يسجل فيها التجارب والمواقف والانطباعات والملاحظات، وما يقف عليه من حِكَم وأحكام، ومشاعر وأشعار، وسير وآثار، وقصص وأخبار؛ فالمعلومة صيد، والكتابة قيد، فقيد صيودك بالحبال الواثقة.

٤٥ ـ تنمية مهاراتهم وهواياتهم المفيدة، وربطها بالشرع كالسباحة لتقوية الجسم على طاعة الله تعالى، وكالرمي لأنه من إعداد القوة على أعداء الله، وكالسباق للاستعانة به على طرد الخمول والكسل لتنشيط النفس إلى ما يقرب من الله تعالى.

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون، فقال النبي ﷺ: «**ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان**». قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «**ما لكم لا ترمون**» قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ قال النبي ﷺ: «**ارموا فأنا معكم كلكم**».

(١) النقي: هو الخبز المصنوع من الدقيق الأبيض بدون نخالة.

٤٦ ـ تنبيه الأهل على المحافظة على الحيوانات التي لا ضرر منها، ونهيهم عن التعدي عليها والإضرار بها.

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ نزل منزلاً، فأخذ رجل بيض حُمُرة، فجاءت ترف على رأس رسول الله ﷺ فقال: «**أيكم فجع هذه ببيضتها؟!**» فقال رجل: يا رسول الله أنا، أخذت بيضتها، فقال النبي ﷺ: «**اردده، رحمة لها**».

٤٧ ـ تنبيههم إلى إتلاف المحرمات التي يرونها ويقعون فيها كطمس الصور المحرمة التي تأتي على المستهلكات اليومية، وكنقض الصلبان التي يرونها ويطلعون عليها.

عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: (أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا صوراً إلا طمستها).

٤٨ ـ غرس عظمة كتاب الله في قلوبهم وزرع محبته ورهبته في صدورهم، وتحذيرهم من امتهانه أو إهانته أو الاستهانة به، وتذكيرهم بآداب تلاوته، وأحكام قراءته وطرق صيانته والمحافظة عليه وعدم العبث به.

٤٩ ـ تعويدهم على الكرم والبذل عند حضور الأضياف، بالحرص على مشاركتهم في الترحيب بالضيوف وخدمتهم، ومد يد العون لهم والمشاركة في إعداد قراهم وإكرامهم والجلوس معهم للاستفادة منهم.

٥٠ ـ طبعهم على الشجاعة والبسالة والإقدام، وتحذيرهم من الخوف والجبن والخور والانهزام، والاعتراف بالحق ولو كان مرًّا ومضرًّا.

يمكن إسقاط بعض العقوبات عن المخطئ ـ في بعض المرات ـ جزاء اعترافه بالحق وإقراره بالذنب.

٥١ ـ تنبيههم إلى احترام ممتلكات الآخرين والحرص على المحافظة عليها، وعدم التعدي عليهم فيها، سواء في الأمور والأشياء المشاعة للجميع أو الخاصة بالأفراد.

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي عندها النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت؛ فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «**غارت أمكم**» ثم حبس الخادم حتى

أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه.

٥٢ ـ ترغيبهم في الدعاء لأنفسهم والدعاء لغيرهم مبتدئين بالوالدين والأقربين، وخصوصاً حال الملمات والنكبات، وتذكيرهم بأهمية الدعاء للإسلام والمسلمين في المشارق والمغارب، ليكون ذلك ديدناً لهم وطبعاً فيهم.

٥٣ ـ تقسيم أعمال البيت بينهم، وتحديد المسؤوليات فيه، وتعويدهم على المشاركة في أعماله، والمساهمة في القيام بشؤونه، ومن عجز عن تقديم العون لغيره، فلا أقل من أن يقوم بشأن نفسه من ترتيب وتنظيف حتى لا يكون كلاً على غيره معتمداً على سواه.

عن الأسود، قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان يصنع النبي ﷺ في أهله؟ فقالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج.

وقالت: (يخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجل في بيته) وفي رواية: قالت: (ما يصنع أحدكم في بيته: يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخيط). وفي رواية: (كان بشراً من البشر؛ يفلي ثوبه، ويحلب شاته).

٥٤ ـ تعليم الأبناء فنون البيع والشراء وضوابطه وطرائقه، وإكسابهم الثقة في أنفسهم منذ الصغر عليه.

٥٥ ـ تعويدهم على النوم مبكراً، وتحذيرهم من السهر طويلاً، وطبعهم على الاستيقاظ المبكر قبل صلاة الفجر لصلاة الوتر والاستغفار؛ فقد كان رسول الله ﷺ يكره النوم قبل العشاء والحديث بعده.

٥٦ ـ إشغالهم ببعض الأعمال الحرفية النافعة كالنجارة والسباكة والزراعة بالنسبة للذكور، وكالخياطة والحياكة والتطريز بالنسبة للإناث، وملء أوقات فراغهم بها.

٥٧ ـ تعليمهم الرقية الشرعية وضوابطها، فيتعلمون كيف يرقي المريض نفسه، أو كيف يقرأ بالتعاويذ الشرعية من الكتاب والسُنّة على غيره.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليها بهن، وأمسح بيد نفسه لبركتها). وفي رواية: (فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به).

وعنها رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى، ويقول: «**اللهم رب الناس أذهب البأس . .**».

٥٨ ـ جمع الأوراق والدفاتر والكتب والجرائد التي يوجد بها آيات كريمة أو أحاديث

نبوية لم تعد تصلح للاستعمال تمهيداً للتخلص منها بطريقة صحيحة كالحرق والدفن، وهذا العمل ـ على صغره يربي الأهل على احترام كلام الله وتقديسه، وعدم إهانته وتدنيسه.

ـ يمكن استخدام قصاصة ـ فرامة ـ الورقة لهذه المهمة.

٥٩ ـ أن يعوّد أهل بيته على التواضع ولين الجانب كالأكل مع الخادم، والجلوس معه، والحديث إليه، وإدخال السرور عليه، والمشاركة له في أفراحه وأتراحه، وخصوصاً حال مرضه وسقمه أو حزنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله أكلة أو أكلتين، أو لقمة أو لقمتين، فإنه ولي حره ودخانه**».

ثالثاً: مشاركتهم في الدعوة إلى الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٦٠ ـ تشجيع الأهل على الدعوة إلى الله تعالى في أوساطهم التي يخالطون فيها غيرهم كالمدارس والقرابة والجيران والأصحاب، وينبغي مساعدتهم على ذلك بمدهم بالأشرطة والكتيبات والمطويات وإعلانات المحاضرات، وغيرها من السبل المشروعة للدعوة إلى الله تعالى.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**».

٦١ ـ حثهم على المشاركة في المجلات الإسلامية بالكتابة فيها، والنقد الهادف لها، وبالنصيحة المخلصة للقائمين عليها، وبالدعاية إليها، وغير ذلك من وجوه المشاركة فيها.

٦٢ ـ إشراكهم في البرامج الدعوية التي يقوم عليها رب الأسرة، ويمكن استغلال طاقاتهم في ذلك، وتربيتهم على المشاركة الفعالة في وجوه الأنشطة الدعوية، مثل: إعداد الرسائل وترتيب الأشرطة وفهرستها وتصنيف الكتب وترتيبها وتنظيم المكتبات والعناية بها.

٦٣ ـ تدريبهم على كتابة الردود الصحيحة على الأقلام القبيحة المفسدة التي تشذ عن الحق وتوغل في الباطل، وإرسال مقالاتهم ـ بعد تنقيحها ـ إلى الجرائد

والمجلات التي تنشر ذلك الزيف أو غيرها ليعلو صوت الحق، ولتستبين سبيل المجرمين.

٦٤ ـ إرسال الرسائل الدعوية لهواة المراسلة الذين يظهرون في الجرائد والمجلات مع بعض الكتيبات والمطويات، وإعداد برنامج دعوي متكامل لهذه الوسيلة الدعوية الناجحة، كُلٌ بحسبه؛ الرجال مع الرجال، والنساء مع النساء.

٦٥ ـ كتابة رسائل النصح والوعظ والتذكير لمن عرف عنه إشاعة المنكر بين الناس كالممثلين والممثلات والمطربين والمطربات وكتاب الشعر الرخيص المبتذل، فلعله ينجو بها ناجٍ، ومعذرة إلى الله، ولعلهم يهتدون أو يرتدعون.

٦٦ ـ تشجيعهم على كتابة المقالات المفيدة المختصرة للمشاركة بها في مدارسهم كطابور الصباح والحفلات والأنشطة المدرسية.

٦٧ ـ غرس شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلوبهم، وذلك بممارسته أمامهم، وترغيبهم فيه، وحثهم عليه عند حدوث ما يستدعيه.

قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

كم هو الأثر بالغ في قلب رجل مدخن عندما يأتي إليه طفل صغير يحذره منه وينهاه عنه!

وكم هي الاستجابة من شابة غافلة تستمع للمعازف والأغاني عندما تأتيها طفلة صغيرة تذكر لها حرمته وتنذرها من خطورتها!

٦٨ ـ إشغالهم بأحوال العالم الإسلامي وقضاياه ومشاكله، حتى ينشغلوا بالعظائم والمهمات، ولا يلتفتوا إلى التوافه والمحقرات، وتتولد لديهم عاطفة إيمانية للمؤمنين وولاء قلبي للمسلمين.

فعلى قدر الهمم تكون الهموم، ومن حلّق فوق النجوم فلن يقنع بما دونها.

قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**يا عائشة! لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر، فإن قومك قصروا في البناء**».

٦٩ ـ رصد سلبيات وإيجابيات المجتمع، وما يحدث في الواقع من أحداث ووقائع، وبعث نتائجها إلى العلماء والمشايخ ليكونوا على علم جامع بحقيقة الواقع، وحتى يكون حلهم أنفع وعلاجهم أنجع.

٧٠ ـ إعداد درس نسائي أسبوعي أو على الأقل شهري في البيت، فتدعى له

الجارات والقريبات والمعارف، وتلقي فيهن إحدى الداعيات درساً فيما يخص النساء، ومهمة أهل البيت الإعداد له والاستفادة منه، فينمو لديهم الحس الدعوي، والحرص على ذلك الخير للغير.

٧١ ـ تعويدهم على الخطابة وإلقاء المواعظ، وتنبيههم إلى آداب ووسائل مواجهة الناس والتأثير فيهم، من خلال تكليف أحدهم بإعداد موعظة قصيرة تلقى على الأهل، ويتم تقويم الموعظة وأسلوبها وإبداء السلبيات والايجابيات عليها من الجميع.

ينبغي التنبيه على أهمية رفع الروح المعنوية للملقي، وغرس الثقة في النفس، دون الوصول به إلى الغرور والإعجاب بالنفس.

٧٢ ـ توزيع الكتيبات والمطويات والأشرطة النافعة على الناس عند إشارات المرور، فحالما يقف الوالد بمركبته بجوار غيره، فإن أحد الأبناء يعطيه كتاباً أو شريطاً مع ابتسامة صادقة ولمسة حانية، ثم إذا تحركت المركبة فإن الوالد يدعو بالهداية لمن أخذ الهدية والأهل يؤمنون ليتعلم الأهل الدعاء مع الدعوة.

٧٣ ـ اعتاد القرابة والجيران والأصدقاء في زيارتهم لبعضهم في المناسبات وغيرها أخذ شيء من الهدايا كالمأكولات والمشروبات والملبوسات، وهذا حسن، والأحسن منه أن يربي الوالد أهل بيته في هذه الزيارات على أخذ جملة من الأشرطة والكتب كهدية مختلفة عما ألفه الناس، ليربي أهله على الدعوة إلى الله تعالى ونشر الخير بين أولى الناس بهم.

رابعاً: تهذيب نفوسهم وتقويم سلوكهم:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

٧٤ ـ زيارة الأسر الفقيرة، وتفقُّد أحوالهم، ومدّ يد المساعدة لهم.

وبهذه الزيارات تتحقق الصلات، وتقوى الروابط، وتنشأ المشاعر الوجدانية الإيمانية بين المجتمع الواحد، وينتج عنها أثر كبير في قلوب الأهل، فيعرفون نعم الله عليهم، ويقومون بشكرها، ويرضون بما قسم الله لهم منها، ويمدون يد العون لإخوانهم في الدين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم**».

٧٥ ـ زيارة المرضى في المستشفيات ـ إن أمنت الفتنة! ـ ودور النقاهة ومراكز

الاعاقة، ليتعرف الأهل على فضل الله عليهم بما يشاهدون من مشاهد الحزن والألم التي يرونها بادية على وجوه أهل البلايا.

يستحب أخذ بعض الهدايا للمرضى، وخصوصاً من هم في مراكز الاعاقة ودور النقاهة لطول مكثهم فيها.

ولا أعني بالهدايا علب الحلوى وباقات الزهور، فالنفع منها قليل، ولكن أقصد الهدايا التي تحيي القلوب وتشرح الصدور، مثل الكتيبات والمطويات.

٧٦ ـ زيارة القبور ـ للذكور ـ وتشييع الجنائز، والسير معها إلى حيث توارى الثرى. فإذا رأى الوالد من أبنائه تقصيراً في طاعة الله أو تجرؤاً على معصيته، فليأخذ بأيديهم إلى هناك، ويذكرهم بمآلهم بعد مفارقة الدنيا.

فيا لهذه الزيارة... ما أعظم أثرها! وما أكبر عبرها!

٧٧ ـ زيارة المدارس التي ينتسب لها الأبناء والبنات للوقوف على سلوكياتهم وسلوكياتهن، وأبرز مميزات شخصياتهم، والتعرف على مواطن الخلل والزلل في أفعالهم وأقوالهم عندما يشعرون بتغيب رقابة الوالدين عنهم.

٧٨ ـ عندما يخطئ أحدهم خطأ عظيماً لا يغتفر.. فإن هناك أسلوباً نبويًا للتربية، قد غاب عن كثير من المربين، وهو هجر المخطئ لمدة معينة من الزمن.

فبدلاً من القسوة في القول، والغلظة في الحديث، فلنتعلم أن نقسو عليهم بالكفّ عن الحديث، والامتناع عن المعاملة.

راجع قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك.

٧٩ ـ هل جربت أيها الوالد أن تكتب لابنك أو زوجتك أو لأحد من أهل بيتك رسالة؟!

قد تقولي لي: وما الداعي لذلك وهم معي لا يفارقونني؟! أقول: جرّب هذا.. ولا تنس أن تدعو لي عندما ترى النتيجة الباهرة!

فعندما ترى من أحدهم سلوكاً خاطئاً لا ترتضيه منه، ونصحته فلم يأتمر ووعظته فلم ينزجر.. فاكتب له ببراع النصيحة رسالة مدبجة بعبارات المحبة والإشفاق، ثم اذكر بين ثناياها ما يأتي أو يذر من أمر، وستجني ـ بإذن الله ـ ثمرة الرضا بعد غرس بذرة النصيحة بالطريقة الصحيحة.

٨٠ ـ الرحلات المشتركة مع مجموعة من الأسر المحافظة على دينها، والمتوافقة في التزامها، والمتجانسة في استقامتها، ليشعر المسلم الملتزم بعدم الغربة في طريقه، ويجد من يعينه عليه، ومن يمضي معه فيه.

يحسن إعداد برنامج دعوي متكامل خلال الرحلة، متزامناً ومتلازماً مع جانب الترفيه والتسلية بالمباح.

٨١ ـ استغلال الرحلات الترفيهية والنزهات البرية أو البحرية أو الجوية في تقوية الإيمان في قلوبهم، وذلك بربطهم بخالقهم في كل ما يرون ويسمعون ويعيشون، فبريهم الدنيا بمنظار الآخرة، فالجمال يذكر بالجنة وما فيها من نعيم وخيرات، والقبح والسوء يذكر بنار السموم وما فيها من آفات ومهلكات.

فالجبال تذكر بقوة الله ـ سبحانه ـ والسموات تخبر عن قدرته، والبحار تنبئ عن عظمته، والسحاب يومئ إلى رحمته، وهكذا يعيش المسلم مع أهله بقلب الحي المتيقظ.

يردد معهم دائماً في تأمل وتدبر، وتذكر قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

والمعرض عن الله يعيش فوضوياً بحياة الغافل الجاهل البليد.

٨٢ ـ النصيحة الجماعية للأهل، ويتم ذلك بجمعهم ووعظهم وإسداء النصح لهم دون تخصيص لأحد منهم. وخصوصاً للأمور التي يشتركون فيها جميعاً، كالترغيب في الصدقة، والإحسان للآخرين، وبذل المعروف لهم، وكف الأذى عنهم، والتحذير من سوء المعتقدات والأقوال والأفعال.

٨٣ ـ النصيحة الفردية لأحد أفراد الأسرة، فعندما يرى رب الأسرة من أحدهم تقصيراً في حق ربه، أو خللاً في أخلاقه أو سوءاً في معاملته؛ فإنه ينفرد به عن غيره، ويسدي له النصيحة مدبجة بأعذب الألفاظ وأرق العبارات وأخلص الكلمات.

تعمدني بنصحك في انفراد ... وجنبني النصيحة في الجماعة

٨٤ ـ التربية من خلال الأحداث والوقائع السارة والضارة التي تحدث للأسرة.

فعندما يحصل للأسرة كلها أو لأحد من أفرادها ما يكره، فإنه يرجع ذلك للذنوب والسيئات والتقصير في حق الله تعالى. وعندما يحدث لهم ما يفرحهم، ويجلب السرور لهم، فإنه يحيل ذلك لكرم الله معهم وفضله عليهم، ولعل أحدهم أحدث طاعة لله تعالى كان من نتائجها توفيق الله لهم فيما يحبون وصرفه عنهم ما يكرهون.

وبذلك تتعلق القلوب بعلام الغيوب في نزول المكروه وحصول المحبوب.

٨٥ ـ تربية الأهل بالمواقف في الأزمات. كالصبر على المقدور، والرضا بالقضاء، والثبات حتى الممات حال الملمات.

قربُ الأسرة قلبها ورأسها، فإن استقام القلب تبعه القالب، وإذا جزع وفزع في البلاء بالضراء، وطغى وبغى في البلاء بالسراء، فأهل البيت تبع له في أكثر الأحوال في الأقوال والأفعال، فهم يرونه بعين المقتدي، ويلمحونه ببصر المهتدي. فليتق الله كل مسؤول عن أسرته، فإنهم يقومون به، ويتأثرون بأقواله وأفعاله، ويفتنون بما يصدر منه ويؤثر عنه.

٨٦ ـ الهدايا مطايا المحبة، وبريد المودة، وسبيل التآلف، فكم هدية أرسلت من رب الأسرة لأحد أفرادها مشفوعة بنصيحة لطيفة في كتاب أو شريط أو رسالة أو كلام، فتح لها باب القبول، فالقلوب مجبولة على محبة من أكرمها بالعطاء وتفضل عليها بالبذل والإهداء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**تهادوا تحابوا**».

٨٧ ـ فرض رسومات مالية كعقوبة على كل من يتكلم بباطل أو يتفوه بلغو حرام كسبّ وشتم ولعن وكذب وسخرية، وتوضع تلك الرسوم في صندوق معين، ويجمع ما فيه، ويتصدق بما فيه على الفقراء، بعد رضى الجميع، وقبولهم بالفكرة واقتناعهم بالطريقة.

٨٨ ـ قد ينشغل رب الأسرة عنهم في بعض الأحوال لمدة طويلة من الزمان، ويبتعد عنهم في المكان، وهنا يلزمه استغلال الهاتف للاتصال بهم والسؤال عنهم ومتابعة شؤونهم، وليشعرهم أنه ما زال مهتمًا بهم وحريصاً عليهم ومتابعاً لأقوالهم وأفعالهم.

٨٩ ـ تسجيل الأهل في المراكز الصيفية التي تقام في الإجازات لما فيها من تنمية للقدرات وتدريب على المهارات وإشغال للوقت بما يعود عليهم بالخير في دنياهم وأخراهم، ومع وجوب حسن اختيار القائمين عليها ومتابعتهم فيها.

٩٠ ـ الزيارة الجماعية للأقارب وذوي الأرحام والجيران، وتذكير الجميع بوجوب ذلك، وبيان الأجور المترتبة عليها لمن أخلص لله تعالى فيها.

٩١ ـ اصطحاب الأب لأبنائه الذكور معه في الذهاب والإياب والمجالس المباركة والزيارات النافعة، ليتعلم الأبناء كيف يعاملون الناس ويجالسونهم ويستفيدون منهم ويتأثرون بهم ويؤثرون فيهم.

٩٢ ـ عندما يهتم أحد أفراد الأسرة بالسفر، فإنه يعطى بطاقة وصايا مغلفة، يكتب فيها بعض الوصايا والتنبيهات، وبعض المحاذير والمخالفات، مع عبارات رقيقة، لتكون له زاداً مباركاً في سفره، ليستعين بها على أمر دينه ودنياه.

مثل: احفظ الله يحفظك ـ اتق الله حيثما كنت ـ احفظ بصرك من المحرمات ـ احذر جليس السوء ـ . . . ونحوها، وحبذا لو عطفت بهدية مفيدة كمصحف صغير وكتاب أذكار وبعض الأشرطة المناسبة . .

٩٣ ـ مداعبة الأهل بالمباح، وإدخال السرور عليهم بالحلال، ليعلموا أن في ديننا فسحة وفي شريعتنا سعادة وراحة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ ليدلع لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبي حمرة لسانه، فيهش إليه) . وكسباق النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها في غزوتين من غزواته، وقوله لها: « **هذه بتلك السبقة** » . وكإرساله البنات الجواري ليلعبن معها في بيته ﷺ .

٩٤ ـ زيارة العلماء والدعاة وطلاب العلم وأهل الخير والصلاح في منازلهم وأماكن أنشطتهم الخيرية والدعوية، للتعلم منهم، والاقتداء بهم، والتعاون معهم .

٩٥ ـ القدوة العملية ببر الوالدين والإحسان إليهم، والبذل لهم والرفق بهم والسماحة معهم ـ إن كانوا أحياء ـ لما لذلك من أثر إيجابي في تربيتهم .

٩٦ ـ تعليق السوط في مكان بارز في البيت، ليستشعر المخطئ والمفرط والمتعدي أن العقوبة له بالمرصاد إذا زلّ أو ضلّ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه أدب لهم** » .

٩٧ ـ ترغيب الأهل في الجلوس مع كبار السن للاستفادة من خبراتهم وتجاربهم في الحياة، والوقوف على طبيعة حياتهم وشديد معاناتهم وتحملهم لشظف العيش، وخصوصاً من عُرف منهم بالحكمة والعقل والاتزان والدين والعلم .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **البركة مع أكابركم** » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا** » .

٩٨ ـ عندما يشتري الوالد سلعة مغشوشة كالفاكهة، فإنه يجمع أهله ليريهم سوء هذا الصنيع ويقبحه في أنظارهم، ثم يدعو بالصفح والمغفرة لمن غشه من المسلمين، ويدعو له بالصلاح والهداية، وأهله يؤمّنون على دعائه، فيتعلم الأهل منه الصفح والعفو لمن أساء إليهم أو أخطأ عليهم، ويستشعرون شناعة الغش وقباحة التدليس والتلبيس . .

٩٩ ـ الخروج مع الأهل في ليلة مقمرة إلى فلاة مأمونة خارج نطاق العمران، ليريهم بديع صنع الله في خلق السموات ونجومها وأفلاكها، ويذكرهم بظلمة القبور ووحشتها، وغير ذلك من المسائل التربوية التي ينبغي أن يوقفهم عليها ويريهم بها.

١٠٠ ـ تفريغ أحد المربين الصالحين لملازمة الأبناء وتربيتهم وتعليمهم القرآن وآدابه، والعلم الشرعي وأحكامه، وطبعهم على العادات الحميدة والأخلاق الكريمة، ويمكن إعداد برنامج مشترك لمجموعة من الأسر المتجانسة لكفالة هذا المربي للعناية بأبنائهم.

وأعتقد جازماً أن توفير هذا المربي أولى وأنفع من جلب الخادمات في البيوت، فمتى ندرك أن قلوب وعقول أبنائنا أهم وأعظم من أجسادهم وقوالبهم؟!

ثانياً

المحافظة على الصلوات الخمس

الصلاة وما أدراك ما الصلاة، يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. والفحشاء هو القول الفاحش، والمنكر جميع المعاصي المنكرة.

إن الصلاة سبب رئيسٌ ومهمّ جداً في حماية الفرد والمجتمع من الوقوع في الذنوب صغيرها وكبيرها.

ولكن متى؟!

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يوم أن تكون هذه الصلاة لله بخشوع وخضوع قلب، ليس نقراً كنقر الغراب لا يدري ماذا قال فيها.

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يوم يتعبد الإنسان لله فيها بأنواع العبادات، يكبره، ويعظمه، ويجله، ويدعوه، ويركع ويسجد، ويقوم ويقعد، كل ذلك لله وحده.

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يوم أن يستحضر ذلك المصلي عظمة الله في قلبه، ويعلم أن هذه الصلاة وهذه العبادة هي لله وحده، ويستحضر كبرياءه وأنه مأمور بهذه العبادة حتى يأتيه اليقين.

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يوم يعلم العبد أن تركها بالكلية كفر وعقوبتها عظيمة.

أيها الإخوة: إن الصلاة لم تشرع إلا لتهذيب النفوس، ولم تشرع إلا لعبادة

الله تعالى وحده، فإن تيقن المصلي بهذا كله كانت الصلاة حماية وحجاباً عن الوقوع في الذنوب والمعاصي وغيرها.

ثالثاً

كثرة ذكر الله تعالى

إن ذكر الله تعالى سبب من أسباب الحماية من هذه المحرمات، بل وسبب مهم قد يتهاون فيه الكثير إلا من رحم ربي.

لذلك فقد أمر الله تعالى بذكره في مواضع كثيرة من كتابه العزيز ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وذلك لأن الذي يذكر الله يتذكر أمره ونهيه، فيتذكر أنه أمر بالعبادات، ويتذكر أن في هذه الأذكار أجراً عظيماً، ويتذكر أنه نُهي عن المحرمات وأن في تركها أجراً كبيراً، وأن في تركه للأوامر وفعل المحرمات عقوبة، فيحمله هذا التذكر على أن يتقرب إلى الله بالطاعات ويترك المحرمات ويبتعد عنها.

فنحن المسلمون ولله الحمد وخاصه الملتزمون بدينا تمتلئ نفوسنا بالطمأنينه والارتياح ولا نحس بالقلق والضيق والكآبة كما يحس بها مَنْ هم بعيدون عن الإسلام، لذلك يتضح كثيراً تاثير الإيمان في تلك النفوس المعذبه وكيف ينتشلها وينقذها من عذابها وأوصابها ويوصلها إلى بر الأمان، بر السعاده والبهجه والارتياح النفسي، وليس هناك من منقذ سواه مهما سعى وجرّب الانسان في الحياه كما أنه دين العقل والحكمه والمعرفه التي ترتقي بالانسان وتؤدي إلى تطوره وتحسن أوضاعه.

لذلك نعرض هنا ثلاث قصص لإخوان لنا هداهم الله للإيمان لنعرف تأثير الإيمان الكبير وفائدته العظيمة في حياة الإنسان.

القصه الأولى

مع الفنان الإنجليزي المسلم
«كات ستيفنز» «يوسف إسلام»

رجل رفض كل مغريات الدنيا بكل شهرتها وشهواتها بعد أن ضربت شهرته الآفاق خلال فترة قصيرة من عمره، وذلك من خلال الشرائط المسجلة لأغانيه التي كان يؤلفها ويلحنها وينطلق بها بين الناس في عروض فنية جمع منها الكثير من المال بجانب ذيوع صيته، غير أنه كان يشعر أنه ينقصه الكثير..

ينقصه الاطمئنان والسكينة النفسية التي عبر عنها قائلاً: «.. وعندما كنت في القمة، كنت أنظر إلى أسفل خوفاً من أن أسقط من القمة، وبدأ القلق ينتابني، وبدأت أشرب زجاجة خمر كل يوم لأستجمع الشجاعة كي أغني.. كنت أشعر أن الناس حولي يلبسون أقنعة، ولا أجد من يكشف عن وجهه القناع.. قناع الحقيقة.. كان لا بد من النفاق حتى تبيع وتكسب.. وحتى تعيش!! وشعرت أن هذا ضلال، وبدأت أكره حياتي، واعتزلت الناس، وأصابني المرض، ونُقلت إلى المستشفى مريضاً بالسل.. وكانت فترة المستشفى خيراً لي، حيث إنها قادتني إلى التفكير، إلى أن هداني الله، حيث بدأت أفكر وأستعمل عقلي».

وقبل أن يسترسل في حديثه يذكر أنه علم في مدرسة كاثوليكية، حيث درس المفهوم المسيحي للحياة والعقيدة، وما يفترض أن يؤمن به عن الله وعن المسيح، وأقل من ذلك عن الروح القدس.. كما يذكر أيضاً أنه لم يكن سعيداً في الحياة الصاخبة التي يعيشها والغنى الفاحش، برغم أنه تعلم أن الغنى هو الثروة الحقيقية.. والفقر هو الضياع الحقيقي بصرف النظر عن أية اعتبارات أخرى، وهذا هو أساس فلسفة الغرب، وظل يبحث عن الحقيقة.. عن السعادة التي لم يجدها في الغنى، ولا في الشهرة، ولا في الكنيسة، فيقول: «بدأت أفكر وأبحث عن السعادة التي لم أجدها في الغنى ولا في الشهرة، ولا في القمة، ولا في الكنيسة، فطرقت باب البوذية والفلسفة الصينية فدرستها، وظننت أن السعادة هي أن تتنبأ بما يحدث في الغد حتى تتجنب شروره، فصرت قدرياً، وآمنت بالنجوم والتنبؤ بالطالع، ولكنني وجدت ذلك كله هراء.

ثم انتقلت إلى الشيوعية ظناً مني أن الخير هو أن نقسم ثروات هذا العالم على كل الناس، ولكنني شعرت أن الشيوعية لا تتفق مع الفطرة، فالعدل أن تحصل على عائد مجهودك، ولا يعود إلى جيب شخص آخر. . ثم اتجهت إلى تعاطي العقاقير المهدئة لأقطع هذه السلسلة القاسية من التفكير والحيرة. . وبعد فترة بدأت أدرك أنه ليست هنالك عقيدة تعطيني الاجابة، وتوضح لي الحقيقة التي أبحث عنها، وبئست [لم يكن وقتها يعلم شيئاً عن الإسلام، فكل ما يعرفه عنه أنه دين عنصري عرقي]. . فبقيت على معتقدي وفهمي الأول الذي تعلمته من الكنيسة، حيث عدت بفكري إليها بعد أن انسلخت منها إلى البوذية الصينية، والشيوعية، حيث أيقنت أن هذه المعتقدات هراء وأن الكنيسة أفضل قليلاً منها. وعكفت من جديد على تأليف الأغاني وتلحينها، وشعرت حينئذ أنها هي ديني ولا دين لي سواها.

ثم أردف يقول: «وفي عام ١٩٧٥ حدثت المعجزة، بعد أن قدّم لي شقيقي الأكبر نسخة من القرآن الكريم هدية، فشعرت تجاهه باهتمام بالغ، برغم أني لا أعرف ما بداخله، فأخذت أبحث عن ترجمة للقرآن الكريم، وكانت هذه أول مرة أفكر فيها عن الإسلام». وتوقف برهة ليعاود حديثه قائلاً: «عندما بدأت أقرأ في ترجمة القرآن الكريم شعرت لأول وهلة أن القرآن يبدأ: بـ«باسْم اللّه» وليس باسم غير اللّه. . ولا تعلم كم كانت عبارة «بسم اللّه الرحمن الرحيم» مؤثرة في نفسي. . وكذلك فاتحة الكتاب: «الحمد لله رب العالمين . .» ثم وجدت مفهوماً جديداً في «رب العالمين». . فحتى ذلك الوقت كانت فكرتي ضئيلة عن الإله، حيث كانوا يقولون لي: إن اللّه الواحد مُقسّم إلى ثلاثة. . كيف لا أدري؟!. . وكانوا يقولون لي: إن إلهنا ليس إله اليهود!!. .

أما القرآن الكريم فقد أكد أن اللّه واحد، خالق العالمين ورب المخلوقات، وليس له شريك في الملك، وهو قوي قادر، فهو على كل شيء قدير، واقترن ذلك بالإيمان باليوم الآخر، وأن الحياة الآخرة خالدة». واستطرد يقول: «معنى ذلك إذن أنك لست كتلة من اللحم تتحول يوماً ما إلى رماد كما يقول علماء البيولوجيا. . وإن ما تفعله في هذه الحياة يحدد الحالة التي ستكون عليها في الحياة الآخرة». ونظر بعيداً في حالة من التأمل والتفكير ليقول بعدها: «القرآن هو الذي دعاني للإسلام، فأجبت دعوته، أما الكنيسة التي حطمتني وجلبت لي التعاسة والعناء فهي التي أرسلتني لهذا القرآن، عندما عجزت عن الإجابة على تساؤلات النفس والروح. .

يكفي أنني قد لاحظت في القرآن شيئاً غريباً، هو أنه لا يُشبه باقي الكتب، ولا يتكون من مقاطع وأوصاف تتوفر في الكتب الدينية التي قرأتها، ولم يكن على

غلاف القرآن الكريم اسم مؤلف، ولهذا أيقنت مفهوم الوحي الذي أوحى إلى هذا النبي المرسل بهذا القرآن من الله تعالى.. لقد تبين لي الفارق، حيث قرأت الإنجيل الذي كُتب على يد مؤلفين مختلفين من قصص متعددة.. حاولت أن أبحث عن أخطاء في القرآن الكريم.. ولكني لم أجد!! بل كان كله منسجماً مع فكرة الوحدانية الخالصة..». ثم تنهد تنهيدة ارتياح وهو يقول: «بدأت أعرف ما هو الإسلام.. وعرفت أنه الطريق إلى السلوك القويم.. فهمت من القرآن الكريم كيف تسلسلت الرسالات منذ بدء الخليقة، وأنه هو نفس الدين الذي أوحى به إلى الخلق منذ عهد آدم، وأن الناس على مدى التاريخ صنفان: إما مؤمن وإما كافر.. لقد أجاب القرآن عن كل تساؤلاتي، وبذلك شعرت بالسعادة، سعادة العثور على الحقيقة.

ويواصل حديثه قائلاً: «لقد ولدت من جديد، وعرفت إلى أين أسير مع إخواني من عباد الله المسلمين.. لقد اتجهت للإسلام من أفضل مصادره، وهو القرآن الكريم، ثم بدأت أدرس سيرة الرسول ﷺ. وكيف أنه بسلوكه وسُنته علّم المسلمين الإسلام، فأدركت الثروة الهائلة في حياة الرسول ﷺ وسنته». ثم يبتسم ابتسامة عريضة وهو يقول: «لقد نسيت الموسيقى والأغاني. فإني أراها تُشغل عن ذكر الله، وهذا خطر عظيم.. أما الملايين التي كسبتها من عملي السابق فوهبتها كلها للدعوة الإسلامية». ومما هو جدير بالذكر أنه عندما أجريت مقابلة مع «يوسف إسلام» ـ (كات ستيفنز سابقاً) ـ على شاشة التليفزيون البريطاني سأله المذيع أسئلة كثيرة تتعلق بالإسلام والنصرانية، وكانت إجاباته رائعة، تدل على ثقة الرجل وفهمه للإسلام وعمق إيمانه بالله سبحانه وتعالى. وكان مما سأله: إنك تخسر أموالاً كثيرة لأنك لا تستفيد من الأموال التي تأتيك من أعمالك السابقة في الغناء فماذا تقول؟ فأجاب يوسف إسلام: «إنني لا أخسر شيئاً، لأن من وجد الله لم يخسر شيئاً». وسأله المذيع: «هل تشعر بسعادة بعد إسلامك؟ ألا تتعذّب أو تتألم؟ أجاب قائلاً: «إنني أشعر بمنتهى السعادة.. أما الألم والعذاب فهو من خصائص الدنيا هذه، ولا راحة لمؤمن إلا بلقاء الله».

ثم عاد المذيع يسأله: «**لماذا اخترت الإسلام على غيره؟**» أجاب ببساطة: «لأنه الدين الحق الأخير، ولأن القرآن حق، ولم يستطع أحد من العلماء أو غيرهم أن يجد أي تناقض في القرآن الكريم، فضلاً عن ذلك أنه قد احتوى على كل شيء يحتاج إليه البشر لهدايتهم. وعندما طلب منه أن يُوجه كلمة لإخوانه المسلمين.. اعتدل في جلسته وتنهد ثم قال: «إن وصيتي هي الدعوة إلى القرآن الكريم، ولو بكلمة واحدة، وأن نستعمل لغة القرآن، ولا ينبغي أن يكتفي الواحد بهدايته،

وينطوي على ذلك.. إن مهمتنا التبليغ والدعوة، وهي مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً، والهادي هو الله سبحانه وتعالى.. علينا أن نتواضع ونترك المظاهر التي لا يهتم بها المسلم عادة، ونتنبه إلى دورنا القيادي في أننا أصحاب رسالة ودعوة.. وأذكر أن الخطر على الإسلام يأتي من عدم الفهم الصحيح للإسلام، ومن أولئك المسلمين الذين يعطون مثالاً سيئاً عن الإسلام، كالذين يرتادون دور (القمار) واللهو، وكذلك الحروب القائمة بين الدول الإسلامية تعطي انطباعاً عكسياً ضاراً[1].

القصة الثانية

المستشار
روبرت ديكسن
رئيس جمعية المحامين الأمريكيين

وهو من الشخصيات البارزة سياسياً في أمريكا كان مستشاراً سياسياً للرئيس السابق نيكسون وهو يتمتع بنفوذ بالغ في كل الأوساط السياسية حتى أواخر الثمانينات أشهر إسلامه وغيّر اسمه إلى فاروق عبد الحق فحُرِم من كل امتيازاته، وقبل مدة؛ أسلم شقيقه وهو عضو في الكونجرس وفي مقال نشره فاروق مؤخراً بمناسبة إشهار الآلاف من الأمريكيين إسلامهم بعد أحداث ١١ سبتمبر تحدث عن تجربته في التحول للإسلام والأسباب التي قادته لذلك وجاء في مقاله: ـ (بعد أن أشهرت إسلامي حضر إليّ العديد من كبار رجال الدين والمختصين بفقه الأديان وقالوا: سمعنا أنك تعاني من مشكلة، فقلت لهم: أبداً لقد اختفت كل المشاكل التي أعاني منها وتبخرت وكأنما بفعل معجزه وهي كذلك فقد كانت لديّ مشكلة هي أنني كنت أجد استحالة بين الصلاة للمحدود والمطلق ولم أقتنع أن المحدود يمكن أن يكون مطلقاً والعكس، وبالتالي فإنني لم استوعب كيف يمكن أن يكون الأب والإبن وروح القدس إلهاً واحداً ويكون الأب مطلقاً والآخرين محدودين، قالوا لي: حسناً ولكنك لست مضطراً للتحول للإسلام، فنحن نعاني من هذه المشكلة أيضاً ولكننا بقينا، على يقيننا ولم يتمكن أحد من إقناعي وطوال السنوات الماضية كنت أبحث عن كلمة لوصف الله كما عرفته في قلبي وكنت أتجنب الإسلام وأحاربه دون هوادة وأعتبره مسخاً للحقيقة لسبب واحد هو أن كل ما كنت أعرفه من هذا الدين هو التشويه الذي زرعه رجال الدين المسيحيين في نفسي، فقد كانوا يقولون لي: إن المسلم لايصح دينه إلا إذا قتل مسيحياً وأيضاً إن الإسلام صوَّر الجنة باعتبارها مجلس أنس يستمتع فيه المسلم بالحور العين وأنهار الخمر، ولم يخطر ببالي على الإطلاق أن أعبد الله من أجل الحور العين وأنهار الخمر فقط، وقلت: إنني أبحث عن كلمة لوصف الله كما أحسه في قلبي.

وعندما قرأت شيئاً من القرآن يدافع الفضول بعد الأحداث لم أجد وصفا

للخالق أسمى من الوصف الذي ورد في آية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .﴾ [النور: ٣٥] والمسلمون يتكاثرون في أمريكا هذه الأيام بنسبة كبيرة أكثر من أي مكان في العالم وخصوصاً بعد ١١سبتمبر، فهل خطر ببالنا أن نسأل أنفسنا لماذا؟؟ ربما كان الجواب يكمن في أنماط الحياة التي نعيشها والتجارب التي يمر بها الإنسان في مجتمعنا، وتجربتي شخصياً مثيرة وفريدة أكثر من أي شخص آخر ولكنها نموذجية أيضاً وكسائر المسلمين اليوم، فإنني فرد من أمة عظيمة هي أمة الإيمان والإسلام وجزء من حركة تغيير جذرية في هذا المنعطف التاريخي وهذا سبب مهم لجعلنا جميعاً نتمسك بإيماننا، وأن نتفهم المسؤوليات الكبيرة التي تترتب علينا.

وبسبب ذلك فنحن المسلمون نتعلم بقراءة القرآن الكريم ونعرف أن التغيير في عالمنا مهم عندما يكون له هدف رغم أننا نتجاهل غالباً الجمال الموجود في هذه الحقيقة، لقد شاهدنا جميعاً السحب وهي تتجمع قبل العاصفة ومعظمنا راقب قدوم الفجر وتابعنا التغيير الذي يجري في أجسامنا ويدفعها نحو الشيخوخة وكل هذه التغييرات لها هدف ولكن قلة من المفكرين راقبوا دورة الحضارات ونشوئها وسقوطها وهذا النشوء والسقوط جزء من مشيئة الله ولذلك فإن له هدفاً.

ويسألني البعض: لماذا تحولت للإسلام؟ فأقول: إنني لم أتحول فقد كنت دائماً كشخص أخلاقي أؤمن بالقيم والمثل والأخلاق الفاضلة اكتشفت فيما بعد أن الإسلام يدعو إليها وتحولي لم يكن كبيراً وإنما اقتصر على النطق بالشهادتين وأصبحت أكثر إيماناً بأن الإسلام هو دين الفطرة وربما كان الأجدى بي أن يكون السؤال لماذا أنا مسلم؟ والجواب هو أن الإسلام دين التوحيد والسعادة والراحة النفسية والعيشة الهانئة إذا التزمت به وطبقت تعاليمه وهو دين العدل الإلهي، أما لماذا هداني الله للإسلام فإنني لاأستطيع الجواب عن هذا السؤال شخصياً ولا أحد يملك الجواب وربما يظهر الجواب يوم الحشر الذي أخشاه أكثر من أي شيء آخر خشية أن أذهب لمقابلة وجه الله الكريم وأنا مثقل بالخطايا والذنوب).

القصة الثالثة

البروفسور
جيفري لانغ

يروي البروفسور جفري لانغ أستاذ الرياضيات في الجامعات الاميركية كيفية اعتناقه للدين الإسلامي وذلك في كتاب صدر له بعنوان ـ حتى الملائكة تسأل ـ فالكتاب يسطر قصة إسلام لانغ ويتراوح بين لمحضات روحانية غامرة وبين أفكار فلسفية عميقة. ويقول المؤلف: في اليوم الذي اعتنقت فيه الأسلام قدم لي إمام المسجد كتيباً يشرح كيفية أداء الصلاة غير أني فوجئت بما رأيته من قلق الطلاب المسلمين، فقد ألحوا علي بعبارات مثل (خذ راحتك ـ لا تضغط على نفسك كثيراً ـ من الأفضل أن تأخذ وقتك ـ ببطء.. شيئاً فشيئاً). وتساءلت في نفسي ـ هل الصلاة صعبة إلى هذا الحد ـ لكني تجاهلت نصائح الطلاب فقررت أن أبدأ فوراً بأداء الصلوات الخمس في أوقاتها.

وفي تلك الليلة أمضيت وقتاً طويلاً جالساً على الأريكة في غرفتي الصغيرة بإضاءتها الخافتة حيث كنت أدرس حركات الصلاة وأكررها، وكذلك الآيات القرانية التي ساتلوها والأدعية الواجب قراءتها في الصلاة وبما أن معظم ما كنت سأتلوه كان باللغة العربية فقد لزمني حفض النصوص بلفظها العربي وبمعانيها باللغة الانجليزية وتفحصت الكتيب ساعات عدّة قبل أن أجد في نفسي الثقة الكافية لتجربة الصلاة الأولى، وكان الوقت قد قارب منتصف الليل.

لذلك قررت أن أصلي صلاة العشاء ودخلت الحمام ووضعت الكتيب على طرف المغسلة مفتوحاً على الصفحة التي تشرح الوضوء وتتبعت التعليمات الواردة فيه خطوة خطوة بتأنٍ ودقة مثل طاهٍ يجرب وصفة لأول مرة في المطبخ وعندما انتهيت من الوضوء أغلقت الصنبور وعدت إلى الغرفة والماء يقطر من أطرافي إذ تقول تعليمات الكتيب بأنه من المستحب ألا يجفف المتوضئ نفسه بعد الوضوء. ووقفت في منتصف الغرفة متوجهاً إلى ما كنت أحسبه اتجاه القبلة.

نظرت إلى الخلف لأتأكد من أنني أغلقت باب شقتي ثم توجهت إلى الأمام واعتدلت في وقفتي وأخذت نفساً عميقاً ثم رفعت يدي ويراحتين مفتوحتين ملامساً

شحمتي الأذنين بإبهامي، ثم بعد ذلك قلت بصوت خافت: (الله أكبر) كنت آمل أن لا يسمعني أحد فقد كنت أشعر بشيء من الانفعال، إذ لم أستطع التخلص من قلقي من كون أحد يتجسس عليّ وفجأة أدركت أنني تركت الستائر مفتوحة وتساءلت ماذا لو رآني أحد الجيران، تركت ما كنت فيه وتوجهت إلى النافذة ثم جلت بنظري في الخارج لأتأكد من عدم وجود أحد.

وعندما رأيت الباحة الخلفية خالية أحسست بالارتياح. فأغلقت الستائر وعدت إلى منتصف الغرفة ومرة أخرى توجهت إلى القبلة واعتدلت في وقفتي ورفعت يدي إلى أن لامس الابهامان شحمتي أذني ثم همست (الله أكبر) وبصوت خافت لا يكاد يسمع قرأت فاتحة الكتاب ببطء وتلعثم، ثم أتبعتها بسورة قصيرة باللغة العربية وإن كنت أظن أن أي عربي لم يكن ليفهم شيئاً لو سمع تلاوتي تلك الليلة، ثم بعد ذلك تلفظت بالتكبير مرة أخرى بصوت خافت وانحنيت راكعاً حتى صار ظهري متعامداً مع ساقي واضعاً كفيّ على ركبتيّ وشعرت بالاحراج إذ لم أنحن لأحد في حياتي.

ولذلك فقد سررت لأنني وحدي في الغرفة وبينما كنت ما أزال راكعاً كررت عبارة (سبحان ربي العظيم) عدّة مرات ثم اعتدلت واقفاً وأنا أقرأ (سمع الله لمن حمده) ثم (ربنا ولك الحمد) أحسست بقلبي يخفق بشدّة وتزايد انفعالي عندما كبرت مرة أخرى بخضوع، فقد حان وقت السجود وتجمدت في مكاني بينما كنت أحدق في البقعة التي أمامي حيث كان عليّ أن أهوي إليها على أطرافي الأربعة وأضع وجهي على الأرض. لم أستطع أن أذل نفسي وأضع أنفي على الأرض شأن العبد الذي يتذلل أمام سيده.

لقد خيل إليّ أن ساقيّ مقيدتان لا تقدران على الانثناء لقد أحسست بكثير من العار و الخزي وتخيلت ضحكات أصدقائي ومعارفي وقهقهاتهم وهم يراقبونني وأنا أجعل من نفسي مغفلاً أمامهم وتخيلت كم سأكون مثيراً للشفقه والسخريه بينهم وكدت أسمعهم يقولون: (مسكين جفري فقد أصابه العرب بمس في سان فرانسيسكو أليس كذلك) وأخذت أدعو (أرجوك أرجوك أعني على هذا) أخذت نفساً عميقاً وأرغمت نفسي على النزول. الآن صرت على أربعتي ثم ترددت لحظات قليلة وبعد ذلك ضغطت وجهي على السجادة أفرغت ذهني من كل الأفكار وتلفظت ثلاث مرات بعبارة (سبحان ربي الأعلى) (الله أكبر) قلتها ورفعت من السجود جالساً على عقبي وأبقيت ذهني فارغاً رافضاً السماح لأي شيء أن يصرف انتباهي (الله أكبر) ووضعت وجهي على الأرض مرة أخرى، وبينما كان أنفي يلامس الأرض رحت أكرر عبارة (سبحان ربي الأعلى) بصورة آلية فقد كنت مصمماً على إنهاء هذا الأمر

مهما كلفني ذلك (الله أكبر) وانتصبت واقفاً فيما قلت لنفسي لا تزال هناك ثلاث جولات أمامي وصارعت عواطفي وكبرياني فيما تبقى لي من الصلاة.

لكن الأمر صار أهون في كل شوط حتى إنني كنت في سكينة شبة كاملة في آخر سجدة. ثم قرأت التشهد في الجلوس الأخير، وأخيراً سلمت عن يميني وشمالي. وبينما بلغ بي الإعياء مبلغه بقيت جالساً على الأرض وأخذت أراجع المعركه التي مررت بها، لقد أحسست بالإحراج لأنني عاركت نفسي كل ذلك العراك في سبيل أداء الصلاة إلى آخرها ودعوت برأس منخفض خجلاً (اغفر لي تكبري وغبائي فقد أتيت من مكان بعيد، ولا يزال أمامي سبيل طويل لأقطعه).

وفي تلك اللحظه شعرت بشيء لم أجربه من قبل ولذلك يصعب عليّ وصفه بالكلمات فقد اجتاحتني موجة لا أستطيع أن أصفها إلا بأنها كالبرودة، وبدا لي أنها تشع من نقطة ما في صدري وكانت موجة عارمة فوجئت بها في البدايه حتى إنني أذكر أنني كنت أرتعش غير أنها كانت أكثر من مجرد شعور جسدي، فقد أثرت في عواطفي بطريقة غريبة أيضاً، لقد بدا كأن الرحمة قد تجسدت في صورة محسوسة وأخذت تغلفني وتتغلغل فيّ، ثم بدأت بالبكاء من غير أن أعرف السبب فقد أخذت الدموع تنهمر على وجهي، ووجدت نفسي أنتحب بشدة وكلما ازداد بكائي ازداد إحساسي بأن قوة خارقة من اللطف والرحمة تحتضنني، ولم أكن أبكي بدافع من الشعور بالذنب، رغم أنه يجدر بي ذلك ولا بدافع من الخزي أو السرور لقد بدا كان سداً قد انفتح مطلقاً عنان مخزون عظيم من الخوف والغضب بداخلي.

وبينما أنا أكتب هذه السطور لا يسعني إلا أن أتساءل عما لو كانت مغفرة الله عز وجل لا تتضمن مجرد العفو عن الذنوب، بل وكذلك الشفاء والسكينه أيضاً ظللت لبعض الوقت جالساً على ركبتي منحنياً إلى الأرض منتحباً ورأسي بين كفيّ. وعندما توقفت عن البكاء أخيراً كنت قد بلغت الغايه في الإرهاق، فقد كانت تلك التجربه جارفة وغير مألوفة إلى حد لم يسمح لي حينئذ أن أبحث عن تفسيرات عقلانية لها وقد رأيت حينها أن هذه التجربة أغرب من أن أستطيع إخبار أحد بها أما أهم ما أدركته في ذلك الوقت، فهو أنني في حاجة ماسة إلى الله وإلى الصلاة، وقبل أن أقوم من مكاني دعوت بهذا الدعاء الأخير (اللهم إذا تجرأت على الكفر بك مرة أخرى فاقتلني قبل ذلك خلصني من هذه الحياة ومن الصعب جداً أن أحيا بكل ما عندي من النواقص والعيوب لكنني لا أستطيع أن أعيش يوماً واحداً آخر وأنا أنكر وجودك)

أذكار الصباح والمساء

١ ـ كان النبي ﷺ إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، له المُلك ولهُ الحمدُ وهو على كل شيءٍ قدير، ربِّ أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، ربِّ أعوذ بك من الكسل وسوء الكِبَر، رب أعوذ بك من عذابٍ في النار وعذاب في القبر» وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: «أصبحنا وأصبح المُلك لله».

٢ ـ كان رسول الله ﷺ يُعلم أصحابه يقول: «إذا أصبح أحدكم فليقل اللّهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور. وإذا أمسى فليقل: اللّهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير».

٣ ـ قال ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول: اللّهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي، أغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

قال: «ومن قالها في النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها في الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

٤ ـ قال ﷺ: «قل: قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء».

٥ ـ قال ﷺ «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك».

٦ ـ «اللّهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة اللّهم أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللّهم استر عوراتي، وآمن روعاتي واحفظني من بين يديّ، ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي».

٧ ـ «اللّهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجرّه إلى مسلم. قال: قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك».

٨ ـ قال ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، فيضره شيء».

٩ ـ قال ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه».

١٠ ـ كان النبي ﷺ يقول إذا أصبح وإذا أمسى: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين».

١١ ـ قال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة. كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطّت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر».

١٢ ـ قال ﷺ: «من صلّى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة».

١٣ ـ عن ابن عباس عن جويرية أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته».

١٤ ـ «اللّهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر».

١٥ ـ «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين».

١٦ ـ «اللّهم عافني في بدني، اللّهم عافني في سمعي، اللّهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت، اللّهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت».

الأذكار بعد السلام من الصلوات الخمس:

١ ـ ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا سلّم من صلاة الفريضة قال: «أستغفر الله،

أستغفر الله، أستغفر الله، اللهم أنت السلام، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

٢ ـ وثبت أيضاً أنه كان يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

٣ ـ «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون».
وقال ابن الزبير رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة).

٤ ـ ويقرأ آية الكرسي عقب كل صلاة لقوله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت».

٥ ـ قال ﷺ: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين.. وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

كيفية تسبيح النبي ﷺ:

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه).

٦ ـ عن عقبة بن عامر قال: (أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة).

قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ إني والله لأحبك، فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

الترغيب في الوتر قبل النوم:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «أوصاني حبيبي ﷺ بثلاث، لن أدعهن ما عشت، بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وأن لا أنام حتى أوتر».

هذا لمن لا يغلب على ظنه أنه سيقوم آخر الليل لأن الوتر آخر الليل، أفضل.
قال ﷺ: «الوتر ركعة من آخر الليل».

الأذكار حين يأوي إلى فراشه عند النوم:

١ ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به».

قال: فرددتها (أي أعدتها) على النبي ﷺ فلما بلغت: «آمنت بكتابك الذي أنزلت» قلت: ورسولك، قال (أي النبي ﷺ): «لا، ونبيك الذي أرسلت».

٢ ـ «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح.

٣ ـ عن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ.

(قل هو الله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

٤ ـ قال ﷺ: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخل إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**».

ما يقوله المسلم عند الاستيقاظ من النوم:

١ ـ الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور.

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «من تعارَّ من الليل فقال حين يستيقظ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم دعا: رب اغفر لي، غفر له».

دعاء صلاة الاستخارة:

كان رسول الله ﷺ يُعلّمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يُعلّمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللّهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - وتسميه باسمه - خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، وعاجله وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، وعاجله وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به».

الدعاء عند الكرب والهمّ والحزن:

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم».

٢ - قال ﷺ: «ما أصاب عبداً همٌّ ولا حزن فقال: اللّهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً».

رابعاً

مجالسة الصالحين

ومن أسباب الحماية مجالسة الصالحين وأهل الخير الذين يذكرون الإنسان إذا غفل، ويعينونه إذا ذكر، ويدعونه إلى الخير ويحذرونه من الشر.

ولكن من هم الصالحون؟!

الصالحون هم أولئك الذين أصلحوا أعمالهم، وأصلحوا أقوالهم، واستقامت أحوالهم.

وهم الذين عرفوا الله حق المعرفة.

وهم الذين يدعون إلى الخير وينهون عن الشر.

وهم الذين التزموا أوامر الله واجتنبوا نواهيه.

وهم.. وهم.. وهم.. إلخ.

هؤلاء هم الصالحون، أما غيرهم فهم أهل الشر والفساد.

وإن من تمام مجالسة الصالحين اجتناب أهل المعاصي والبعد عنهم، فإن من جالس الصالحين اجتنب أهل الشر والفساد، ومن جالس أهل الخير هجر أهل الشر وابتعد عنهم.

أما أولئك الذين لا يجالسون الصالحين ويصدون عنهم، فكثيراً ما يجتذبهم أهل الفساد ويدعونهم إلى ما يفعلونه، فيزينون لهم ما هم فيه، فلا يأمن أن يقعوا فيما وقعوا فيه.

أيها الإخوة، إن الأشرار ولو اعترفوا بأنهم على الشر، فإنهم يتمنون أن يكون الناس مثلهم حتى لا ينفردوا بالشر وحدهم، فصاحب الدخان لا يعترف بأنه على باطل، ولذلك تجده يزين لكل من رآه ولكل من جالسه أنه على حق، وأن هذا الدخان لا مانع منه، ولا بأس به، حتى يوقع فيه هذا وذاك، فإن شربوه مرة واثنتين وتعودوا عليه، صعب عليهم بعد ذلك التخلص منه. ثم تجدهم يعيبون من ترك الدخان ويقولون: إنه بخيل متزمت ومتشدد ونحو ذلك من الألفاظ.

وهكذا فإن هؤلاء المفسدين الأشرار يعيبون أهل الدين ويعيبون أهل الصلاة وأهل ترك المحرمات بهذه العيوب التي يلصقونها بهم.

وهذه سنة الله تعالى أن كل عاص يدعو إلى معصيته، ولو اعترف بأنه على باطل، ولكن لا بدّ إذا كان متمكناً في هذه المعصية أن يزين حالته ويبين للناس أنه ليس على باطل حتى يفعلوا مثل ما فعل.

فعلى المسلم أن يجتنب أهل السوء ومجالسهم فإنه لا يسلم إلا إذا اجتنبهم وابتعد عنهم. أما من كان معه قدرة على مقاومتهم، وإقناعهم ونصحهم، والرد عليهم وإبطال شبهاتهم، فإنه واجب عليه أن يفعل ذلك، ولا بأس أن يجالسهم في هذه الحالة حتى يرد عليهم، فإذا رأى أنهم تمادوا واستمروا في غيهم ولم تؤثر فيهم كلماته ومواعظه ونصحه فالنجاة النجاة، والبعد البعد، فهو أولى وأسلم.

أيها الإخوة، هذه توجيهات في السلامة من هذه المحرمات، وهي على سبيل المثال. وأسباب التحصن والحماية كثيرة وفي الإشارة كفاية، واللبيب تكفيه الإشارة، والإنسان الذي معه فكر وعقل يعلم كيف الطريق إلى السلامة من بقية المحرمات لاجتنابها والحذر من مقاربتها.

نسأل الله تعالى أن يحمي المسلمين من المعاصي ما ظهر منها وما بطن، وأن

يبصرهم بأنفسهم حتى يجتنبوها، وأن يحمي مجتمعات المسلمين من العصاة والمفسدين.

ووضع فضيلة الإمام الخلاصة في الاجتهاد وضوابطه قائلاً في نهاية حديثه يبقى لما يقول النبي ﷺ. «اتبعوا ولا تبتدعوا..» يعني ماتجيبوش حاجة من عندكم... أي فيما يعصمكم من اختلاف الأهواء يعني إن اتبعتم فقد توحدتم... راح.. تتبعوا كلكم واحد... وحين يبقى مفيش لا ذلة لك.. ولا ذلة لي... لكن في الأمور الأخرى اجتهدوا ما شئتم بس اللي وصلتوا له من أسرار الله...

ماتستعملوهوش في محاربة منهج الله... هنا انتهى الحوار وهذا الآتي آخر تعليق:

أقول لما كان الاجتهاد في غير العقيدة والمنهج أصبح ممكن ولكن مابت في الكتاب والسُنّة ومنهج الخلفاء الراشدين فصحّ فيه الاجتهاد لأن العقيدة أولاً لأنها أساس دعوة الأنبياء كما قال تعالى على لسان كل نبي يرسله إلى قومه ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود ٨٤].

العقيدة أولاً؛ لأنها الفيصل الحاسم بين الخلود في نار جهنم والنجاة منها ألم تسمع قول الله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾. [النساء: ٤٨]، والشرك أعظم ما ينافي التوحيد الذي هو أصل صحة العقيدة.

العقيدة أولاً؛ لأن الشرك بالله أعظم الظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. [لقمان ١٣].

العقيدة أولاً؛ لأن عالمنا الإسلامي اليوم إنما كان سبب تخلفه وانحطاطه ضياع الجوهر الحقيقي له، وهو العقيدة الصافية، فقد شاب اعتقاد كثير من المسلمين اليوم أمورٌ شركية عظيمة من طواف بالقبور واستغاثة بأصحابها، وطلب الحوائج والمدد منهم فعادوا إلى الجاهلية الأولى وكأنهم لم يقرأوا أو يسمعوا قول الله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾. [فاطر: ١٤]، ناهيك عن البدع الصوفية التي تعدت مستوى عامة المسلمين إلى الطبقة المثقفة والمتعلمة حتى أصبحت على مستوى الدول، كالاحتفال بالمولد النبوي ومشاركة النصارى أعيادهم، فضلاً عن الانحراف في السلوك والأخلاق وغير ذلك مما سنتناوله مفصلاً بأدلته من الكتاب والسُنّة الصحيحة بإذن الله عز وجل.

وبعد هذا أخي الحبيب، ألسنا محقين في قولنا «العقيدة أولاً».

وإنّا عازمون بإذن الله عز وجل نشر سلسلة كاملة من الدروس التي تبين العقيدة الصافية التي تمثل روح الإسلام الصحيح مؤيدة بالأدلة النقلية الصحيحة الصريحة التي لا تدع مجالاً للشك؛ ليكون الأمر عن بينة ينشرح بها صدر المسلم الحق الذي يبحث عن النجاة فينهل من هذا المورد العذب دون خوف من العواقب المهلكة بسوء الاعتقاد.

والقياس يكون بعد الاجتهاد وهذه شروط وجوانب القياس فما بالك بالاجتهاد فحافظ حتى لا تقع في المحظور:

١ ـ التعريف اللغوي:

قاس الشيء يقيسه قيساً وقياساً، واقتساه وقيسه إذا قدره على مثاله. (لسان العرب مادة قيس (٦/ ١٨٧)، والمقياس هو المقدار، وما قيس به (آله القياس).

٢ ـ التعريف الاصطلاحي:

هو إلحاق واقعة لا نص عليها بواقعة أخرى منصوص عليها لتساوي الواقعتين في علة الحكم.

ومثاله إلحاق أنواع ظهرت من الخمور بالخمر التي كانت موجودة في عهد الرسول ﷺ لأن علة الحكم ـ وهو الإسكار ـ موجودة في هذه الخمر وتلك الخمر، فاتخاذ الخمر من البصل مثلاً حرام والمتخذ خمراً وإن لم يكن موجوداً في عهد التنزيل لأن الإسكار الذي هو علة تحريم الخمر موجودة في هذا وذاك.

وإيجاب الزكاة في الأرز واجب وإن كانت الزكاة منصوصة في التمر والزبيب والقمح والشعير فقط، فيقاس الأرز عليه بجامع العلة وهو الكيل والادخار والقوت وهذا موجود في القمح والأرز، وكذلك حرم الرسول ﷺ الربا في ستة أشياء منصوص عليها حيث يقول ﷺ: «**الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد**». (رواه أحمد (٥/ ٣٢٠) ومسلم (١٥٨٧) من رواية عبادة بن الصامت رضي الله عنه)

ولا شك أنه يحرم الربا في كل ما يماثل هذه الأشياء المنصوصة كالأرز والفول والعدس وهذا هو ما يسمى بالقياس.

أركان القياس:

للقياس أركان أربعة هي: الأصل، والفرع، والعلة، والحكم.

فالأصل: هو الشيء أو الواقعة المنصوص على حكمها في الشريعة.

الفرع: هو الشيء أو الواقعة الجديدة التي يراد إلحاقها بالأصل.

العلة: هي السبب الذي من أجله رتب الشارع الحكيم قيام الحكم به.

الحكم: هو ما نطق به الشرع إلزاما للشيء أو الواقعة بالإيجاب والتحريم، وبالإباحة والشرط والرخصة، ولكل ركن من هذه الأركان شروط وتعريفات، ومواصفات لا بد من ضبطها حتى يكون القياس صحيحاً، وذلك أن القياس من أكثر الأدلة التي يتطرق إليها الخلل، ولذلك فلا بد من ضبط أموره ضبطاً محكماً حتى يمكن الوصول إلى القياس الصحيح.

حجية القياس:

القياس من الأدلة الشرعية التي اختلف فيها كلام علماء الإسلام وكثر حولها الجدل، فمن العلماء من رده جملة وتفصيلا، ومنهم من توسع في القياس بأدنى مناسبة وتشابه بين فرع وأصل. . ومنهم من فرّق بين القياس الصحيح والقياس الفاسد، ولم يلحق فرعاً بأصل إلا بقواعد وضوابط لتحقق المماثلة فعلاً بين الفرع والأصل، ونحن نبين حجة كل فريق ونرجح ما نراه الحق إن شاء الله تعالى.

أولاً

أدلة المانعين للقياس

ذهب الإمام ابن حزم وغيره إلى أن القياس غير جائز في الشريعة واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة من أشهرها:

أن الحكم الشرعي هو ما كان في الكتاب والسُّنَّة فقط، وما بقي فهو ظن، وأن القياس ظن، والحكم به إنما هو اتباع الظن، وأن إبليس برغم حذقه، وشطارته فما أضله إلا القياس، وأن في كلام العلماء كثير من الأقيسة الفاسدة والباطلة والمخالفة للنصوص الشرعية، وأن الشريعة قد أحاطت بكل الأحكام كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وإن المسكوت عنه بعد ذلك إنما هو عفو لا مؤاخذة فيه.

ثانياً

أدلة المثبتين للقياس

وأما جمهور علماء المسلمين ومنهم الأئمة الأربعة وغيرهم فإنهم قالوا بحجية القياس واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة من أشهرها:

١ ـ القياس نوع من الاجتهاد:

القياس نوع من أنواع الاجتهاد، والشرع قد أقر للحاكم والقاضي أن يجتهد وأنه مأجور على كل حال إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد كما قال ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**» (رواه البخاري ومسلم من حديث عمرو بن العاص وسبق تخريجه)

فهذا دليل على أن الاجتهاد جائز، والقياس هو إلحاق الشيء بنظيره من جملة الاجتهاد ولا شك.

٢ ـ النصوص الشرعية لم تحط بالوقائع إحاطة تفصيلية:

والثاني أن النصوص الشرعية لم تحط إحاطة تفصيلية بكل الوقائع وإنما توجد وقائع كثيرة لا يمكن البت في حكمها إلا بنوع اجتهاد ومقياسه، ومن ذلك مثلاً مسائل العول وهي زيادة أصحاب الفروض في الميراث على الواحد الصحيح. كمن ماتت مثلاً، وتركت زوجها وأختيها، فإن النص الشرعي يوجب للزوج نصف ما تركت زوجته المتوفاة، وكذلك يوجب النص للأختين ثلثي التركة.

فإذا نظرنا وجدنا أننا لا نستطيع الحكم بنص واحد منهما مع التقصير في النص الآخر إلا النصف للأختين ولو أخذت الأختان الثلثين، وهو فرضها لما بقي للزوج إلا ثلث واحد فقط، وهو ناقص عن فرضه، وقد حدثت هذه المسألة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاجتهد فيها، ثم أرشده العباس بن عبد المطلب إلى قياس واضح وهو قوله: (أرأيت لو أن هذه المرأة تركت ستة دنانير فقط، وكانت مدينة بسبع لشخصين ماذا تصنع؟ فقال: أنجعل الستة مكان السبعة، فقال: فهذا أيضاً أجعل الستة مكان السبعة فاجعل القسمة سباعية فيأخذ الزوج الثلاثة أجزاء من سبعة والأختان أربعة أجزاء من سبعة، وبهذا يتم العدل بينهم، ونكون قد أعملنا النصين).

ومعلوم أن هذا الذي ذهب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد خالفه فيه ابن عباس فقط حيث ذهب إلى تقديم الأقوى في مسائل العول، ومعنى هذا أن يأخذ الزوج النصف وتأخذ الأختان بقية التركة، وهو النصف لأن الزوج أقوى من الأخت حيث إن الأخت تحجب بالأبناء والآباء، والزوج لا يحجب.

ولا شك أن ما ذهب إليه عمر بن الخطاب، وعامة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ هو الحق، وهو الذي فيه إعمال لكل النصوص، ولم يأت ذلك إلا بالمقايسة بين ميراث الدين، وميراث المال، والشاهد هنا أن النصوص الشرعية لم تحط إحاطة تفصيلية بكل المسائل الفرعية، وأن هناك مسائل فرعية كثيرة يحتاج الحكم فيها إلى

نظر في الأدلة واجتهاد ومقايسة لإلحاق النظير بنظيره، وتحقيق العدل الذي يريده الله سبحانه وتعالى.

ولا شك ـ أيضاً ـ أن ما ذهب إليه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تقديم الأقوى من الزوج على الأخت عند العول ساقط لأنه يمكن بذلك أن تحرم بعض الوارثين من الميراث بالكلية، ومثاله ما لو مات رجل وترك زوجة وأباً وأمًا وبنتين، فإن للزوجة الثمن، وللأب والأم السدسان لكل واحد سدس، وللبنتين الثلثان فهؤلاء الورثة جميعاً ليس فيهم من يحجب، فإذا أعطينا البنتين ثلثا التركة وأخذ الأب والأم الثلث الباقي لكل واحد منهما سدس، فإنه لا يتبقى شيء للزوجة، ويستحيل العدل في هذه المسألة إلا بما مضى في المسألة السابقة، وهو النقص من كل واحد من هؤلاء جميعاً بمقدار حصته، فتكون المسألة من سبعة وعشرين بدلاً من أربعة وعشرين فتأخذ الزوجة تُسعاً بدلاً من الثمن الثابت لها بالنص، وذلك للنقص الذي حدث في نصيبها بسبب العول.

٣ ـ الشريعة لا تفرق بين متماثلين قط:

الدليل الثالث الذي استدل به مثبتو القياس هو أن الشريعة الحكيمة مستحيل أن تفرق بين متماثلين قط، فإذا كان النص الشرعي مثلاً قد جاء بنهي القاضي أن يحكم بين اثنين وهو غضبان، ألا يرشد ذلك إلى النهي أيضاً عن القضاء إذا كان القاضي جائعاً جوعاً شديداً يتشوش به فكره، أو عطشاناً، أو حاقناً، أو حاقباً لأن كل ذلك مما يشوش الفكر، فكما أن الغضب مشوش للفكر، فإنه قد يدفع القاضي إلى الانتقام والخطأ.

وكذلك جاء النص بتحريم قذف المحصنات، ولا شك أن قذف المحصنين مثل قذف المحصنات في الإثم والمعاقبة.

ولا شك كذلك أن صرف مال اليتيم مثل أكله في الحرمة، وأن التحايل على الحرام حرام، وإن تلبس بصورة الحلال كمن توصل إلى الزنا بالعقد الصوري، أو إلى الربا بصورة من صور البيع أو الإجارة أو الهدية، فالبول في الماء الراكد والاغتسال فيه حرام بالنص، وكذلك أيضاً وضع النجاسة في الماء الراكد والاغتسال فيه حرام لأن هذا مثل هذا، وكذلك الأمر في كل تحايل للوصول إلى الحرام، وإن لم يأت النص بخصوصه. وهذا باب عظيم من أبواب الشريعة.

٤ ـ وجود نصوص ترشد إلى الأخذ بالقياس الصحيح:

والأمر الرابع مما يحتج به مثبتو القياس هو ورود آيات كثيرة وأحاديث ترشد

في جملتها إلى وجوب استخدام العقل، ومقايسة الأمور بعضها ببعض، ومعرفة عللها ومقاصدها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيٓ أَخۡرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ الۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ الۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

فقوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ حث على النظر، وأخذ العبرة مما حدث لبني النضير بسبب نقضهم لوعدهم ومخالفتهم أمر ربهم كيف سلط عليهم، وعاقبهم على هذا النحو.

والمقصود اعتبروا يا أولي الأبصار أن تحدثوا من المعاصي مثل ما أحدثوا فيحل بكم مثل ما حل بهم، وهذا حث على النظر والمقايسة، ومثل هذا كثير في القرآن لقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ﴾ [يوسف: ١١١].

ولا شك أن هذا منصوص عليه لقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

وأما الأحاديث التي تدل على مشروعية بل وجوب مقايسة النظير بنظيره فكثيرة، منها ما ثبت في الصحيحين أن امرأة سألت النبي ﷺ عن أمها أنها ماتت وكان عليها صوم أتصوم عنها؟ فقال ﷺ: «**أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟**» قالت: نعم. قال: «**فدين الله أحق بالقضاء**» (رواه البخاري (١٩٥٣) ورواه مسلم (١١٤٨) من حديث ابن عباس.

فأرشد الرسول ﷺ بقوله: أرأيت إن كان على أمك دين أي لبشر فكما أن الدين للبشر يُقضى عن الميت فقضاؤه عن الميت لله من باب الأولى والأحرى وهذا قياس الأولى، وفيه إرشاد من الرسول ﷺ إلى استخدام العقل والنظر ومقايسة الأمور في المسائل بغية الوصول إلى حكم الله، ويشبه هذا الحديث ما رواه الإمام أحمد وأبو داود وصححه ابن خزيمة، وابن حبان والحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (هششت يوماً فقبّلت وأنا صائم فأتيت النبي ﷺ فقلت: صنعت اليوم أمراً عظيماً: قبّلت وأنا صائم فقال ﷺ: «**أرأيت لو تمضمضت بماء وأنت صائم؟**» قلت: لا بأس بذلك، فقال النبي ﷺ: «**ففيم؟**») (رواه أحمد (١/ ٢١) وأبو داود (٢٣٨٥) وابن خزيمة (١٩٩٩) والإحسان في تقريب ابن حبان (٣٥٤٤) والحاكم (١/ ٤٣١) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٨٩).

وهذا الحديث دليل قطعي على استحباب القياس، لأن الرسول ﷺ أرشد عمر

إلى النظر، وهو قياس القبلة على المضمضة، وكان عمر يعلم حكم المضمضة قبل أن يسأل الرسول عن القبلة فأرشده الرسول أنها مثلها، واستنكر عليه أن يستعظم ذلك حيث قال عمر: (صنعت اليوم أمراً عظيماً). فقال له الرسول ﷺ: «**ففيم؟**» أي ففيم كان هذا الأمر عظيماً وأنت تعلم أن الشريعة قد جاءت بمثله.

ومما يدل على ذلك أيضاً ما جاء في الصحيحين من أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن امرأتي ولدت ولدا أسود. فقال له رسول الله ﷺ: «**هل لك من إبل؟**» قال: نعم، قال: [ما ألوانها؟] قال: حمر. قال النبي ﷺ: «**فهل فيها من أورق؟**» قال: نعم إن فيها لورقاً. قال له النبي ﷺ: «**فأنى أتاها ذلك؟**» قال: عسى أن يكون نزعه عرق قال النبي ﷺ: «**وهذا عسى أن يكون نزعه عرق**». (رواه البخاري (٥٣٠٥) ومسلم (١٥٠٠) من حديث أبي هريرة.

فبين النبي ﷺ للأعرابي أن نزع العرق يعني لحوق الولد لصفات بعيدة في الأجداد، وكما يكون في الإبل فكذلك يكون في البشر، وهذا تنبيه من الرسول ﷺ للأعرابي إلى مقايسة الشيء بنظيره.

ولا شك أن كل هذا يدل على أن نظير الحق حق، ونظير الباطل باطل، وأن الشريعة ترشد إلى وجوب مقايسة النظير بنظيره، وإعمال العقل والفكر في ذلك.

أركان القياس:

لما كان القياس من الأدلة التي يتطرق إليها الخلل كثيراً، وذلك أنه اجتهاد، والاجتهاد قابل للخطأ والصواب، لذلك وجب ضبط قواعده، ومعرفة حدوده وأبعاده وتحقيق معانيه حتى يعلم على اليقين القياس الصحيح من القياس الفاسد، وإليك أهم هذه القواعد التي يجب معرفتها، ومراعاتها للوصول إلى القياس الصحيح والبعد عن الأقيسة الفاسدة.

وللقياس أركان أربعة كما قدمنا وهي: الأصل، والفرع، والعلة، والحكم وسأتي إلى بيان كل ركن من هذه الأركان والشروط الموضوعية فيه:

١ ـ الأصل: وهو الشيء أو الواقعة التي ورد بحكمها نص ويسمى أيضاً المقيس عليها، والمحمول عليه، والمشبه به.

٢ ـ الفرع: وهو الشيء أو الواقعة التي يراد إلحاقها بالأصل لتأخذ حكمه، ويشترط في الفرع أن لا يكون قد ثبت حكمه بنص أو إجماع لأنه إذا كان له حكم ثابت بالنص أو الإجماع استغنى بذلك عن القياس وإن كان بالقياس أيضاً فيكون توكيداً للنص، أو من باب تضافر الأدلة.

٣ ـ الحكم: وهو النص الشرعي، أو الإجماع الذي صدر حكما على الواقعة التي يراد القياس عليها، ويشترط فيه الشروط الآتية:

أ ـ أن يكون ثبوته بنص أو إجماع، والصحيح أنه يجوز القياس على الحكم المجمع عليه، لأن الإجماع دليل شرعي يقيني، وما كان كذلك فيجوز أن يقاس عليه.

ب ـ أن لا يكون حكماً خاصاً بالواقعة، لأن الأمر الخاص لا يجوز أن يقاس عليه كما قال الرسول ﷺ لأبي بردة: «**اذبحها ولن تجزئ عن أحد بعدك**» (رواه البخاري (٩٥٥) ومسلم (١٩٦١) وذلك في شأن ذبح الأضحية دون السن المقررة لها شرعاً، وكما جاء من خصوصيات النبي ﷺ كقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، تدل على اختصاص هذا الحكم به، ومثل هذه الأحكام لا يجوز تعديتها لأنها جاءت خاصة في وقائع بعينها فلا يقاس عليها.

جـ ـ أن يكون هذا الحكم مما تدرك العقول معناه، ومعقوليته، والعلة فيه، والحكمة من ورائه.. حكمة غير مطلق التعبد... وذلك أن الأمور التعبدية لا يقاس عليها كأعداد الركعات، وخصال الكفارات، وهيئات ومواقيت مشاعر الحج كالطواف والسعي، والرمي، وتقبيل الحجر، ونحو ذلك كل ذلك أمور تعبدية الأصل فيها هو التعبد واختبار الطاعة، ومثل هذه الأمور لا يقاس عليها، ولذلك فإنه يشترط في الحكم الذي يراد تعديته أن لا يكون موضوعاً على هذا الأساس، بل يكون مما للعقل إدراك في فهم علته وحكمته، فالأحكام المعللة كتحريم الخمر، وقطع يد السارق، وتحريم أكل الميتة وإيجاب القصاص، واشتراط التراضي في البيع، ووضع الولاية على المرأة في النكاح، ونحو ذلك أمور معللة معقول معناها، وأحكامها هي التي يمكن تعديتها.

٤ ـ العلة: وهي الركن الرابع في القياس، وهي أهم الأركان من حيث أن القياس الصحيح يتوقف على العلم بها، وتحقق وجودها في الأصل والفرع، وأن الخطأ لا يدخل في القياس غالباً إلا من خلالها، ولذلك كانت مباحث العلة من أهم مباحث القياس.

مباحث العلة

١
تعريفها

العلة هي الوصف الظاهر المنضبط المشتمل على الحكمة الباعثة على تشريع الحكم كالإسكار في الخمر، فالإسكار وصف ظاهر منضبط وهو السبب الذي من أجله شرع الله سبحانه وتعالى تحريم الخمر، فلولا وجود الإسكار في الخمر ما كان هناك حكم بالتحريم، فحيث وجد هذا الوصف الذي هو العلة وجد الحكم وهو تحريم المشروب، وحيث انتفى هذا الوصف انتفى الحكم الذي هو التحريم.

والاعتداء والعدوان علة لنهي الرسول ﷺ أن يبيع المسلم على بيع أخيه، وأن يخطب على خطبته، فالاعتداء والعدوان وصف ظاهر منضبط وهو يشتمل على الحكمة الباعثة على تشريع حكم معروف، والحكمة هي الحفاظ على المجتمع المسلم من التفكك والعداوة.

٢
الفرق بين العلة والسبب والحكمة

يطلق كثير من الأصوليين العلة والسبب إطلاقاً واحداً لمعنى واحد، وهو ما قدمناه في تعريف العلة، فيجعلون السبب والعلة بمعنى واحد، وبعضهم يفرق بين السبب والعلة. فالعلة عندهم ما يمكن أن يدرك بالعقل كالإسكار في تحريم الخمر، والعدوان في تحريم البيع على البيع ويسمى هذا أيضاً سبباً، ويفرد السبب أيضاً بما لا مدخل للعقل في معرفة حكمته، ومعقوليته، علماً بأنه وصف ظاهر منضبط لحكم شرعي كالزوال مثلاً سبب لوجود صلاة معينة هي صلاة الظهر، والغروب سبب لوجود صلاة هي صلاة المغرب، فهذه أسباب وليست عللاً. فيكون على هذا عندهم كل علة سبب، وليس كل سبب علة.

وأما الحكمة فهي المقصد الشرعي من وراء تشريع الحكم والذي يدور على

جلب المصالح، ودفع المفاسد، وقد شرحنا هذا باستفاضة في باب المقاصد الشرعية من التكليف.

فمعلوم أن الله سبحانه وتعالى يشرع لحكم عظيمة وأهداف جليلة كما خلقنا لعبادته، وفرض الصلاة لتذكره ونخشاه، والصوم لنتعلم التقوى، وتصلح نفوسنا، والزكاة ليطهرنا بها، والقصاص للحفاظ على حياتنا، وشرع الحدود لحفظ ديننا وأموالنا، ودمائنا، وعقولنا، وأعراضنا... والشاهد أن كل حكم شرعي فإنما وضع لحكمة عظيمة.

وتمثيلاً لما سبق نقول: القصاص حكم شرعي وهو فرض على من قتل عمداً عدواناً، فالقتل عمداً عدواناً هو العلة، والسبب الذي جاء حكم القصاص بسببه والحكمة هي الحفاظ على النفوس كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

٣

الشروط التي يجب توافرها في العلة

يشترط في العلة التي يقاس عليها شروط أهمها ما يلي:

أ ـ **الظهور**: فالعلة التي تعلل بها الأحكام ويجوز تعديتها، والقياس عليها ما كانت ظاهرة كالسفر مثلاً حتى يباح القصر والجمع وعقد النكاح والدخول حتى يثبت النسب، فلا يجوز إثبات النسب مثلاً بتحقيق وصول ماء الرجل إلى المرأة ونحو ذلك، لأن هذا من الأمور الخفية.

ب ـ **الضبط والتحديد**: بمعنى أن تكون العلة أثراً منضبطاً كالعمد والعدوان في القتل لإثبات القصاص، وأما العلة الخفية فلا تبنى عليها الأحكام، وذلك كالمشقة في السفر لأن المشقة غير محددة.

جـ ـ **المناسبة**: وهذا الوصف يعني أن تكون العلة مما يناسب تعليل الحكم به. وبناء الأحكام عليه، وليس وصفاً طردياً لا مناسبة له، فتعليل قطع اليد حدًا في السرقة مبني على علة مناسبة وهي السرقة التي تعني الخيانة والعدوان على مال الغير، وأما الأوصاف الطردية كالطول والقصر، وكون الإنسان أسود أو أبيض فلا دخل لها في التعليل كما جاء في الحديث: [أن أعرابياً جاء إلى الرسول ﷺ يضرب رأسه وينتف شعره ويقول: هلكت، وأهلكت، فقال له الرسول ﷺ: «**وما الذي أهلكك؟**» قال: وقعت على امرأتي في نهار رمضان، فقال له الرسول

ﷺ: «أعتق رقبة.. الحديث». (رواه البخاري (١٩٣٦) ومسلم (١١١١) من حديث أبي هريرة.

فالعلة هنا هي جماع الرجل زوجته في نهار رمضان، ولا دخل في الحكم بكونه أعرابياً أو أنه جاء يضرب رأسه وينتف شعره.

د- التعدية: الشرط الرابع من شروط العلة أن تكون متعدية، أي غير خاصة كما جاء في الحديث أن الرسول ﷺ جعل شهادة خزيمة بشهادة رجلين، وكون الرسول تنام عيناه، ولا ينام قلبه، ولذلك لا ينقض وضوءه بالنوم ونحو ذلك من العلل الخاصة.

هـ- استيفاء الشروط: قد يكون لكل علة شروط خاصة بها، ومثل هذه العلة لا يجوز التعليل بها إلا إذا كانت مستوفية لشروطها كالسرقة مثلاً فإنها علة لإيجاب حكم قطع اليد، ولكن السرقة لا تكون مؤثرة في الحكم إلا إذا استوفت شروطها كأن تكون السرقة من حرز، وأن تكون أكثر من ربع دينار وأن لا يكون هناك شبهة ملك، وأن تكون خفية حتى تفارق الغصب والنهبة... الخ. وهذه شروط خاصة بعلة معروفة وهي السرقة.

٤

أنواع العلل

للعلل أنواع كثيرة فقد تكون وصفاً لازماً كالأنوثة التي تعلل بها كثير من الأحكام كولاية النكاح، وسقوط صلاة الجماعة، وسقوط فرض القتال ونحو ذلك من أحكام انبنت على هذه العلة وهي (الأنوثة) وهي وصف ثابت لازم.

وقد تكون وصفاً عارضاً غير ثابت كالمرض فإنه يترتب عليه أحكام كثيرة في الطهارات والعبادات وغيرها، والشدة في الشراب التي تسبب السكر فإنها وصف عارض فالشراب قبل حصول هذه الشدة يجوز شربه وإذا تحول إلى خل مثلاً وذهب هذا الوصف عاد الشراب إلى حليته.

وقد تكون العلة مركبة من شيئين كالقتل الموجب للقصاص فإنه يشترط فيه أن يكون عمداً وعدواناً فلو كان عمداً فقط فإنه لا يوجب قصاصاً كمن قتل من اعتدى عليه وهاجمه وهو الذي يعرف بالصائل، أو من وجد رجلا مع زوجته فقتله، فإن هذا لا يقتص منه لأن المقتول معتد، وأما القتل الذي يوجب القصاص فهو أن يكون القاتل هو المعتدي، وقد تعمد القتل، كذلك فهذه علة مركبة من أمرين وهما العدوان والعمد.

وهناك علة مفردة كالإسكار مثلاً في الشراب، فإن وجود الشدة المسكرة كاف لحرمة الشراب، وترتيب الحكم على الحد لمن شربه.

وقد تكون العلة فعلاً للمكلف كالسرقة والقتل..

وقد تكون العلة وصفاً مجرداً ليس فعلا كمن يعلل بالكيل والوزن في الربويات.

والعلة أيضاً قد تكون أمراً وجودياً كالقتل والسرقة.

وقد تكون أمراً عدمياً كما تقول انتفى الرشد فانتفت المكاتبة، وذلك أن الله سبحانه يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ.. الآية﴾ [النور: ٣٣].

فاشترط الله أن يكون العبد المكاتب قد آنسنا فيه خيراً، فإذا امتنع ذلك امتنعت الكتابة. ولهذا قلنا، أن العلة قد تكون أمراً وجودياً وقد تكون أمراً عدمياً منفياً.

٥

مسالك العلة

المقصود بمسالك العلة هي الطرق التي يجب على المجتهد تتبعها ليعرف بها كيف يستخلص علة الأحكام الشرعية، وإليك أهم هذه المسالك:

أولاً: النص:

أول طريق يجب أن نسلكه لنعرف علة الحكم الشرعي هو النص على ذلك من كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ. ويكون التعرف على العلة من خلال النص حسب ما يأتي:

أ ـ التنصيص على العلة، كقوله تعالى بعد أن ذكر قصة ولدي آدم، وأن أحدهما قتل أخاه ظلماً وعدواناً عندما قدر على ذلك. قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] أي من أجل أن الأخ قد يقتل أخاه ظلماً إذا قدر على ذلك فإنه كتب سبحانه القصاص.

ومثل هذه الآية في التنصيص على العلية قوله ﷺ: «**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**» (رواه البخاري (٦٢٤١) ومسلم (٢١٥٦) من حديث سهل بن سعد الساعدي.

أي أن الله لم يفرض الاستئذان إلا من أجل أنهم قد ينظرون إلى ما لا يحل من محارم الآخرين.

ب ـ أن يذكر الحكم الشرعي مقروناً بالفاء بعد وصفٍ ما يدل على أن ذلك الوصف هو علة الحكم المقترن بالفاء، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

دل ذلك على أن القطع بسبب السرقة وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فالاعتزال بسبب الأذى. فالأذى هو العلة، والحكم هو الاعتزال.

جـ ـ ترتيب الحكم على الوصف بصيغة الجزاء كقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] فالسوء علة المجازاة وقوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

وقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» فالقتل حكم شرعي علته هنا تبديل الدين وهو الردة.

د ـ أن يذكر الحكم الشرعي بعد حادثة معينة تدل على أنها سبب الحكم كقوله ﷺ: «**اعتق رقبة**»، لمن قال له: واقعت أهلي في نهار رمضان فالمواقعة في نهار رمضان علة لعتق الرقبة في الكفارة.

هـ ـ أن يسأل الرسول سؤالاً لمن طلب منه شيئاً، ولو لم يعلل بهذا السؤال يكون الكلام لغواً كما قال ﷺ لمن سأله عن بيع الرطب بالتمر قال: «**أينقص الرطب إذا جف؟**» قالوا: نعم. قال: «**فلا إذن**» (أخرجه أبو داود (٣٣٥٩) والترمذي (١٢٢٥) وقال: حسن صحيح.

فعلم أن علة النهي عن بيع التمر بالرطب هو نقص الرطب بعد الجفاف عن التمر، وهذا الذي يسمى المزابنة، وكذلك ما رواه ثابت بن الضحاك، قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلا ببوانة، فأتى النبي ﷺ فقال: «**إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة؟**» فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا! قال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قال: لا! قال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**» (رواه أبو داود (٣٣١٣) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٨٣٤).

فسؤال النبي ﷺ له: هل كان فيها عيد، أو صنم من أصنام الجاهلية يدل على

أن هذا هو علة الحكم، لأنه لو لم يكن هذا هو العلة لكان الكلام لغواً... وكلام الله ورسوله بعيد عن اللغو.

و ـ أن يذكر في سياق الكلام شيء لو لم يعلل بهذا الشيء لكان الكلام غير منتظم كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

فقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ لو لم يفسر على أنه هو المانع من السعي لكان ذكره لغواً، فتحريم البيع وقت الصلاة حكم شرعي لعلة هي الإشغال عن الصلاة.. ولذلك قاس العلماء على تحريم البيع وقت الصلاة كل ما يلهي عنها، ويحول بين المسلم وبينها مما لم يخصصه الشارع الحكيم كالسفر مثلاً.

ز ـ ذكر الحكم الشرعي مقروناً بوصف يناسب التعليل كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] أي لبرهم وفجورهم.

والخلاصة: أن النص الشرعي هو أول الطرق التي يجب على المجتهد أن يطرقها ليعرف العلة الشرعية التي أناط الشارع الحكم بوجودها.

تنقيح المناط:

البحث عن العلة عن طريق النص تسمى في عمومها تنقيح المناط، وذلك أن النص الشرعي قد يأتي بملابسات واستطرادات لا دخل لها في الحكم الشرعي، وعمل الفقيه هو النظر في هذه الملابسات والأوصاف الطردية والاستطرادات وإخراجها عن جملة التعليل، وإثبات العلة الحقيقية، ومثاله المشهور حديث الصحابي الأعرابي الذي جاء النبي ﷺ يضرب رأسه، وينتف شعره، ويقول: يا رسول الله هلكت وأهلكت، وقعت على امرأتي في نهار رمضان، فقال له الرسول ﷺ: «**أعتق رقبة**..» (رواه البخاري (١٩٣٦) ومسلم (١١١١) من حديث أبي هريرة.

وكون الرجل أعرابياً، أو أنه جاء يضرب رأسه وينتف شعره، لا دخل له في الحكم عليه بأن يعتق رقبة لأن علة هذا الحكم هو المواقعة في نهار رمضان، فنفي الصفات والملابسات الجانبية الواردة في النص. وإثبات علة الحكم الحقيقية من خلال النص، هذا كله يسمى تنقيح المناط.

ثانياً: الإجماع:

فإذا انعقد الإجماع على أن هذا الأمر علة جاز التعليل به، ومثلوا لذلك بانعقاد الإجماع على أن الصغر علة في نفي الولاية على المال.

ثالثاً: الاستنباط:

الاستنباط هنا معناه استخراج العلة عن طريق الاجتهاد، والفهم من النصوص الشرعية.. ولاستنباط العلة طرق أشهرها ما يلي:

أ ـ المناسبة:

وتسمى أيضاً في اصطلاح أهل الأصول الإخالة، ومعنى ذلك أنه لا بد في البحث عن العلة أن يبحث عن مناسبتها، أي هل هي ملائمة للتعليل أم لا؟ وذلك أن هناك أوصافاً طردية لا دخل لها في التعليل، وبناء الأحكام، ومثل هذه الأوصاف الطردية لا تصلح أن تسمى علة... فلو جئنا إلى تحريم الرسول ﷺ الربا في الذهب والفضة حيث يقول ﷺ: «**لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الفضة بالفضة إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائباً بناجز**» (متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري).

وجئنا نبحث عن العلة في تحريم بيع الذهب بالذهب و الفضة بالفضة فليس من المناسبة أن يتصور أن الرسول ﷺ نهى عن الربا في بيع الذهب بجنسه، والفضة بجنسها للمعادن مثلاً، أو لأنها حلي يتزين بها إذ لا دخل للمعادن والتحلي في تحريم بيع الذهب بالذهب متفاضلاً.

وهكذا عند التعليل، علينا أن نبحث عن المناسبة والشيء الذي نتصور أن الشارع الحكيم حرم من أجله ما حرم، أو أباح من أجله ما أباح، وأوجب من أجله ما أوجب، وقد قسم علماء الأصول المناسبة إلى أربع درجات هي ما يلي:

١ ـ المناسب المؤثر:

وهو العلة التي قام النص أو الإجماع على أن عينها هي التي أثرت في عين الحكم كقوله ﷺ: «**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**».

وقوله: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**». (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٣٠) فعرف أن العلة في تحريم شراب ما هي السُّكر الحاصل به، وكما قام الإجماع على عدم التفريق بين الذكر والأنثى في القذف، لأن كلاً منهما تتضرر سمعته بالقذف.

٢ ـ المناسب الملائم:

هو ما قام نص أيضاً أو إجماع على تأثير جنس الوصف في عين الحكم كإدخال الصحابة شارب الخمر مع القاذف في الحكم الواحد، وهو الجلد بثمانين جلدة.

وكذلك ما قام نص أو إجماع على تأثير عين الوصف وهو في جنس الحكم ومثاله عند من يقول بجواز إجبار الصغير على الزواج . . . إجبار الثيب الصغيرة، وهي التي سبق لها زواج ثم طلقت ولم تبلغ، قالوا: الصغر ثبت في الشريعة علة للولاية على المال، والولاية على الزواج من جنس الولاية على المال، فيكون الصغر عند الثيب علة لإجبارها على الزواج.

وكذلك تكون العلة من قسم المناسب الملائم إذا قام الدليل على تأثير جنس الحكم في جنس الوصف، كمن فهم من إسقاط الشارع الصلاة عن الحائض أنه من أجل المشقة.

وذلك أن جنس المشقة في الشريعة علة تؤدي غالباً إلى جنس الخفيف.

٣ ـ المناسب الغريب:

ومعناه المصلحة التي أهدرها الشارع ولم يرد الأخذ بها نظراً لأنها تعارض مصلحة أعظم منها، أو تؤدي إلى فساد أعظم منها. . . ومثل هذه المصالح التي أهدرها الشارع لا يجوز التعليل بها، ولا بناء الأحكام عليها.

ومثاله مثلاً إيجاب خصلة من خصال كفارة اليمين على رجل بعينه كما استفتى ملك من الملوك فقيهاً في كفارة الجماع فقال له: لا يجزئك إلا ثلاثة أيام. . فلما قيل للفقيه لماذا أمرته بذلك والله قد خير الحانث بين عتق رقبة وإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، وأن من لم يجد شيئاً من ذلك صام ثلاثة أيام، ولا شك أن الملك واجد القدرة على عتق الرقبة، فقال: إن أحللنا له ذلك سهل عليه الحنث لأنه قادر على العتق، ومثل هذه المصلحة التي رآها الفقيه وهي زجر الحاكم عن الحنث وإن كانت مصلحة في النظر البادئ إلا أنها مصلحة مهدرة ملغاة، لأن هناك مصالح شرعية أكبر من العتق والإطعام والكسوة وهي الرفق بالفقراء فضلاً على أن الحنث نفسه مستحب إذا رأى المسلم أن ما حلف عليه من الأفضل له ديناً العدول عنه.

والمفهم هنا أن المصلحة التي أهدرها الشارع لا يجوز تعليل الأحكام بها وبالتالي البناء عليها لأن الشارع لا يهدر مصلحة ما إلا لمصلحة أعظم أو خروجاً من مفسدة أكبر.

٤ ـ المناسب المرسل:

وهي العلة التي تتضمن حكمة ومنفعة شرعية دينية أو دنيوية، علماً بأن الشارع لم يأت بما يلغيها أو يأمر بها. . ويسمى هذا القسم أيضاً بالمصالح المرسلة.

وهذه لها تفصيل آخر في مكانها لأنها مصدر هام من مصادر التشريع، وعلى

أساسها يبنى كثير من الأحكام الشرعية. وهو ما اعتمده المسلمون في تدوين الدواوين وتخطيط المدن، وتنظيم قواعد السير، ونحو ذلك.

٥ ـ التقسيم والسبر:

ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب أن السبر والتقسيم طريقة عقلية ومسلك من مسالك البحث المراد.

والمقصود بالسبر والتقسيم في البحث عن العلة التي ليس فيها نص صريح بالدلالة عليها هو أن نستخدم هذه الطريقة ومعناها فرض جميع المحتملات الممكنة.

وهذا معناه التقسيم والثاني اختبار كل فرضية من الفرضيات والنظر هل تصلح تعليلاً لهذا الحكم أم لا؟

ومثاله نهي الرسول ﷺ عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة إلا مثلاً بمثل يداً بيد. فالبحث في علة هذا الحكم يكون هكذا..

لنفرض أن الرسول ﷺ حرم ذلك لأن الذهب والفضة معادن، أو لجمال الذهب والفضة ولمعانهما، أو لأنهما يتحلى بهما، أو لاستخدامهما في النقود وأنها أثمان الأشياء وقيم الموجودات.. فهذا مثلاً هو وضع كافة الفروض المحتملة للتحريم.

وهكذا يقال بالنسبة إلى تحريم الرسول ﷺ الربا في القمح، والشعير والزبيب، والتمر.. هل هو لذواتها أو لعلل فيها؟ فبالتقسيم نقول لعلة الكيل والوزن أو لعلة الطعم، أو لعلة الادخار، أو لأنه القوت، وعند اختبار كل الفروض السابقة نصل حسب اجتهادنا إلى المعنى والعلة التي من أجلها كان الربا في هذه وبالتالي يتعدى عند التعليل إلى مثيلاتها.

٦ ـ جواز تعليل الحكم الواحد بعلتين أو أكثر:

لا شك أنه يجوز أن نعلل الحكم الواحد بعلتين أو أكثر لأن كلاً منهما مناسبة كتعليل النهي عن لبس الذهب للرجال بأن في ذلك مشابهة للكفار وللترف، ولأنهما أثمان، ونحو ذلك مما هو مناسب للتعليل ومن رأى أن نهي الرجال عن لبس الذهب للترف حرم عليهم الماس والأحجار الكريمة من باب الأولى والأحرى.

تخريج المناط:

المناط كما قدمنا هو ما يعلق عليه. والمقصود بتخريج المناط هو معرفة العلة التي هي مناط الحكم عن طريق الاستنباط، فهذه العملية أعني البحث عن علة

الحكم بطريقة الاستنباط تسمى تخريج المناط، وتشمل ما ذكرنا في هذا الصدد من مبحث الإخالة والتأثير، والسبر والتقسيم.

تحقيق المناط:

تحقيق المناط في اصطلاح الأصول معناه تطبيق حكم الأصل في الفرع إذا تحقق أن هذا الفرع مندرج تحت الأصل تماماً، وأن علة الحكم موجودة فيه.

ومثاله: أخذ النباش لكفن الميت، فمن قائل أنه أخذ مالا مهدراً لأنه إلى البلى والتراب، ولكن عند التحقيق يتبين أن النباش سارق لأنه أخذ مالا من حرزه وليس مالا مهدراً، وبذلك تقطع يده، وكذلك تحقيق معاني تطبيق النص.

لا تأتي الأحكام الشرعية بخلاف القياس الصحيح أبداً:

هذا باب عظيم جدًا من أبواب القياس، بل هو من أعظم أبواب أصول الفقه، وذلك أنه يضع الميزان الذي أمرنا الله أن نحكم به في مكانه الصحيح كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فالميزان في هذه الآية هو الحكم الصحيح الموافق للعدل، والحق الموافق لما شرعه الله سبحانه وتعالى، كما قدمنا أن النصوص غير محيطة إحاطة تفصيلية بكل واقعة بعينها، وأن الوقائع والحوادث اليومية تحتاج كل منها إلى نظر صحيح ليحكم لها بحكم عادل موافق لشرع الله، وهذا هو الميزان، ويستحيل أن يكون الميزان مخالفاً للكتاب.

ولا شك أن القياس من الميزان، فكل قياس صحيح فهو حتماً يجب أن يكون موافقاً للنص الصحيح، ومن ظن أن العقل الصريح في أمر التشريع يأتي بما يخالف النص فقد أخطأ خطأ بيناً، وكذلك من ظن أن النص الصحيح يأتي على خلاف حكم العقل وموازين العدل والحق، بل الكتاب والميزان متفقان ومتطابقان، وإذا اختلف نظرنا وفسد قياسنا فقد نظن أن هناك نصاً شرعياً جاء على خلاف القياس والميزان، وقد كثر للأسف قول بعض الفقهاء هذا الحديث على خلاف القياس، وهذا الحكم على خلاف القياس، وهذه العبارة خطأ ـ ولا شك ـ ، لأن حكم الله وحكم رسوله لا يأتي على خلاف قياس صحيح أبداً، ولكن قد يظن الفقيه أن أمراً ما مطرد في كل فرعياته، ولا يطلع على الأمر المخصوص، أعني الخصوصية التي من أجلها انفردت فرعية ما بحكم مخالف لحكم شبيهاتها فيقول:

إن هذه الفرعية جاءت على خلاف القياس. . وهذا خطأ ـ ولا شك ـ .

وقد أوضح هذه المسألة إيضاحاً كاملاً الإمام ابن تيمية رحمه الله في (رسالة في معنى القياس) أجاب فيها على من سأله عما يقع في كلام كثير من الفقهاء، ومن قولهم: هذا خلاف القياس لما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بعضهم، وربما كان حكماً مجمعاً عليه.

فمن ذلك قولهم: تطهير الماء إذا وقع فيه نجاسة خلاف القياس، بل وتطهير النجاسة على خلاف القياس، والوضوء من لحوم الإبل على خلاف القياس، والفطر بالحجامة، والمضاربة، والمزارعة والمساقاة والقرض، وصحة صوم المفطر ناسياً، والمضي في الحج الفاسد، كل ذلك على خلاف القياس، وغير ذلك من الأحكام، فهل هذا القول صواب أم لا؟ وهل يعارض القياس الصحيح النص أم لا؟

فأجاب: «الحمد لله رب العالمين». أصل هذا أن تعلم أن لفظ القياس لفظ مجمل، يدخل فيه القياس الصحيح والقياس الفاسد.

فالقياس الصحيح هو الذي وردت به الشريعة، وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين، الأول قياس الطرد، والثاني قياس العكس، وهو من العدل الذي بعث الله به رسوله.

فالقياس الصحيح مثل أن تكون العلة التي علق بها الحكم في الأصل موجودة في الفرع من غير معارض في الفرع يمنع حكمها، ومثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه قط، وكذلك القياس بإلغاء الفارق، وهو: أن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع فمثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه، وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الأنواع بحكم يفارق به نظائره فلا بد أن يختص ذلك النوع بوصف يوجب اختصاصه بالحكم، ويمنع مساواته لغيره، لكن الوصف الذي اختص به قد يظهر لبعض الناس، وقد لا يظهر، وليس من شرط القياس الصحيح المعتدل أن يعلم صحته كل أحد، فمن رأى شيئاً من الشريعة مخالفاً للقياس الذي انعقد في نفسه، ليس مخالفاً للقياس الصحيح الثابت في نفس الأمر.

وحيث علمنا أن النص جاء بخلاف قياس، علمنا قطعاً أنه قياس فاسد، بمعنى أن صورة النص امتازت عن تلك الصور التي يظن أنها مثلها بوصف أوجب تخصيص الشارع لها بذلك الحكم فليس في الشريعة ما يخالف قياساً صحيحاً، لكن فيها ما يخالف القياس الفاسد، وإن كان من الناس من لا يعلم فساده. انتهى منه بلفظه (الفتاوى (٢٠/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥)

ثم أجاب شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ أجوبة تفصيلية على ما ذكره السائل من أن تطهير الماء على خلاف القياس، والتوضؤ من لحوم الإبل على خلاف القياس،

والفطر بالحجامة، والسلم.. إلخ. مبيناً أن كل فرع من هذه الفروع قد قام بخصوص كل منها من المعاني ما يختص به ويجعله منفرداً عن بقية أفراد نوعه، وبذلك يحتم أن يكون له حكم خاص، وذلك أن الشريعة المطهرة لا يمكن أن تجمع بين مختلفين في حكم واحد، وكذلك جمع المختلفين والنقيضين تحت حكم واحد ظلم وخطأ أيضاً.

هل يقاس على المستثنى من قاعدة القياس؟

بعد معرفتنا بالفقرة السابقة نأتي إلى قاعدة هامة من قواعد القياس، وهي إذا كانت الشريعة قد خصت قضايا معينة بحكم خاص وأخرجتها عن القاعدة العامة، وجعلت لها حكماً مستثنى فهل يجوز لنا أن نقيس على هذا الأمر المستثنى من القاعدة العامة أم لا؟

ومثال ذلك العرايا، فلا شك أن الرسول ﷺ قد حرم بيع الرطب بالتمر، وهو الذي يسمى بالمزابنة، ولكن رخص في العرايا. وهي أن يشتري الشخص نخلة مثمرة بخرصها تمراً.. فهل يجوز أن نقيس على عرايا النخل عرايا العنب مثلاً فيشتري الشخص شجرة عنب من بستان بتقدير ما فيها زبيباً، ومثل هذا أيضاً قياس إباحة أي محرم عدا الميتة لمن اضطر لأكلها ولا شك في صحة القياس على الأمر المستثنى إذا اتحدت علة الحكم.

وإذا لم يكن هذا الاستثناء لأمر خاص لا يجوز أن يكون في غيره كشهادة خزيمة، وما خص الله به رسوله من أحكام، ونحو هذا، وترخيصه لأبي بردة أن يضحي بجذعة من الضأن حيث قال له: اذبحها، ولن تجزي عن أحد غيرك ونحو هذا، فإذا لم يكن الأمر المستثنى مخصوصاً بما استثني فيجوز أن يقاس عليه إذا اتحدت العلة كما يقاس على ترخيص الرسول ﷺ اللعب بالصور والتماثيل كل صورة تؤدي إلى منفعة عظيمة: كالصورة التعليمية، والطبية، والشخصية، ونحوها مما تدعو إليه الحاجة والضرورة ولا يتأتى من ورائها مفسدة شرعية.

مواطن القياس:

لا شك أنه ليست كل أبواب الشريعة الإسلامية يجوز القياس فيها، ولذلك كان هناك أمور اتفق على عدم جواز القياس فيها، وأمور اتفق على جواز القياس فيها، وأمور اختلف فيها بين من يجوّز ذلك ومن يمنعه.

١ ـ لا قياس في العبادات مطلقاً:

الأمور التي لا يجوز القياس فيها قولاً واحداً هي الأمور التعبدية التي لا دخل

للعقل في معرفة عللها، إلا أن تكون لاختبار طاعة العباد لربهم سبحانه وتعالى، ولذلك كانت شؤون القربات جميعاً، وهي ما اصطلح عليه باسم العبادات من الأمور التي لا يجوز القياس عليها كالصلاة والصيام، ومقادير الزكوات، والحج، والشعائر المخصصة كتعظيم أيام بعينها وأماكن بذاتها، وتخصيصها بشيء من العبادات أو الأذكار، ولا شك أن ذلك كله من أمور العبادات المحضة التي لا يجوز أن يقاس عليها قط، والقياس فيها مردود لأنه إحداث في الدين ما ليس منه: قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» (رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقد نزل هذا في شأن المشركين الذين بحّروا البحائر، وسيبوا السوائب، وجعلوا الحامي والوصيلة، وغير ذلك مما شرعوه هدياً للكعبة، وقربى إلى الله بزعمهم مما لم يأذن به الله، ولم يشرعه لهم، ويدخل فيها كل ما ابتدعه جهال المسلمين من عمل الموالد، والمزارات، والأذكار المبتدعة، والمواسم المبتدعة، والمشاعر الخاصة، كالخلوة، والصيام عن أنواع من الطعام والشراب مخصوصة في أيام مخصوصة، والشاهد أن كل ما يدخل في هذا الباب فإنه باطل محض وإن قيس على أشباهه مما هو موجود بالشريعة شكلاً، ولا شك أنه يخالفه موضوعاً ثم إنه لا يجوز بتاتاً قياس ما نشرعه بعقولنا في هذا الصدد على ما شرعه الله سبحانه وتعالى لأن هذا يعد عدواناً على حق الله سبحانه وتعالى، وكأنه لم يبيّن لنا ما يكفي لنتقرب به إليه، ونحظى بالقرب والمودة منه، والوصول إلى مرضاته وموالاته... ولا شك أن كل هذا يدخل أيضاً في قوله ﷺ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**» (رواه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك)

٢ ـ ما لا خلاف على القياس فيه:

ولم يختلف قول العلماء في أن مسائل الحلال والحرام، وما يستجد للناس من حوادث ومعاملات وقضاء مشكلات يجوز القياس فيه كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالة لأبي موسى الأشعري: (آس الناس في مجلسك، وقس الأمور برأيك).

٣ ـ ما اختلف في جواز القياس فيه:

ولكن هناك أمور في المعاملات اختلف الفقهاء حولها هل يجوز إجراء القياس فيها أو لا؟ وهذه الأمور هي: (الحدود، والكفارات، والتقادير، والرخص، والأسباب، والشروط، والموانع).. فالذين منعوا القياس في هذه الأمور ذكروا أنها

أمور لا دخل للعقل في تقديرها، وأنها وإن كانت معقولة المعنى إلا أنها من اختصاص الله سبحانه وتعالى، ورسله. فالتقديرات لا دخل للعقل في تقديرها، والرخص منحة من الله سبحانه وتعالى فلا يقاس عليها، والحدود مقدرة أيضاً، وهي تدرأ بالشبهات فكيف يقاس على ذلك؟

والحق أن الذين منعوا القياس في هذه الأمور أو بعضها من الحنفية والمالكية قد خالفوا ما قالوه فيها؛ ففي الرخص قاسوا الاستنجاء بكل مطهر منق كالورق، والخرق على الأحجار، وفي الكفارات قاسوا النباش على السارق وأوجبوا عليه القطع، واللائط على الزاني. وإن كانوا يقولون في مثل هذا، وأنه ليس بحد، ولكنه عقوبة تعزيرية.. ولكن هذا يعتبر خلافاً لفظياً لأن العقوبة التعزيرية هذه عندما اقترحوها ساووها بالحد الشرعي في مثيلاتها، وهذا هو القياس.

وبالجملة؛ فالذين منعوا القياس في هذه الأمور ليس معهم دليل على المنع. والصحيح أن كل أمر معلوم المعنى منصوص على علته أو مفهوما علته، وهو من أمور المعاملات بين الناس، وليس من شؤون القربات الخالصة فإنه يجوز القياس فيه، لأن هذا من أمور العدل والميزان.

من الذي له حق القياس؟:

ولا شك أن القياس من الأدلة العويصة، ولا يجوز أن يخاطر على الاستدلال به، وخوض غماره إلا عالم مجتهد بلغ درجة النظر.

ولهذا قال الإمام الشافعي: «ولا يقيس إلا من جمع الأدلة التي له القياس بها، وهي العلم بأحكام كتاب الله: فرضه، وأدبه، وناسخه، ومنسوخه، وعامه، وخاصه، وإرشاده.

ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله ﷺ فإذا لم يجد سنة فبإجماع المسلمين، فإن لم يكن إجماع فبالقياس.

ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السنن، وأقاويل السلف، وإجماع الناس، واختلافهم، ولسان العرب.

ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل، وحتى يفرق بين المشتبه، ولا يعجل بالقول به دون التثبيت.

ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه، لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة، ويزداد به تثبتاً فيما اعتقد من الصواب.

وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده، والإنصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول، وترك ما يترك.

ولا يكون بما قال أعني منه بما خالفه حتى يعرف فضل ما يصير إليه على ما يترك إن شاء الله..

ومن لم يكن كما وصفنا فإنه لا يحل له أن يقول بقياس، وذلك لأنه لا يعرف ما يقيس عليه، كما لا يحل لفقيه عاقل أن يقول في ثمن درهم، ولا خبرة له بسوقه.

ومن كان عالماً بما وصفنا بالحفظ لا بحقيقة المعرفة: فليس له أن يقول أيضاً بقياس، لأنه قد يذهب عليه عقل المعاني...

وكذلك لو كان حافظاً مقصر العقل، أو مقصراً عن علم لسان العرب، لم يكن له أن يقيس من قبل نقص عقله عن الآلة التي يجوز بها القياس.. ولا نقول يسع هذا والله أعلم ـ أن يقول أبداً إلا اتباعاً، لا قياساً (الرسالة ص/٥٠٩ ـ ٥١١)

وسيأتي لهذا مزيد من التفصيل إن شاء الله في شرائط المجتهد، وإنما قصدنا هنا التنبيه على أن شأن الاستدلال بالقياس ليس كشأن الاستدلال بالقرآن، والحديث، والإجماع، لأن الاستدلال بالقرآن ميسر واضح، وخاصة لطلبة العلم الذين يعرفون مواقع الآيات، ومعاني العربية، وما سيقت الآيات من أجله، وكذلك الأحاديث، ومواقع الإجماع، وأما القياس فإنه دليل لا يصلح الاستدلال به إلا لمجتهد، وأعني بالقياس هنا النظر الجديد، ومحاولة إلحاق الفروع الحادثة، والوقائع الجديدة بما يماثلها مما جاء حكمه في الشريعة.

وأما القياس الذي قال به العلماء السابقون، والسلف الصالحون فلا بأس بنقله والاستدلال به، لأن الاستدلال بذلك من جنس الاستدلال بالقرآن والسُّنة والإجماع غير أنه أيضاً يحتاج إلى معرفة دليل العالم القائل بالقياس لأن العلماء المجتهدين حرموا نقل فتاويهم، والإفتاء بها إلا لعالم بطريق استدلالهم كما قال الإمام أبو حنيفة: «حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بقولي».

خاتمة

وهنا انتهى التعليق، وبقي لنا في حديث الأستاذ نبيل السمالوطي وفضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي بقية عن الإعلام والفن ومدى التطور المذهل في أجهزة الإتصالات والمعلومات وأثر ذلك السلبي والإيجابي على حياة الفرد المسلم، وأرجو من الله أن أكون قد وُفقت في التعليق والتحقيق لهذا الحوار الجامع الرائع، وهكذا كلام العلماء دائماً لو أخذنا جملة واحدة محاولين التعليق عليها لوجدنا الكلام يطول لما مَنَّ الله عليهم من العلم النافع والإخلاص في الكلمة، فرحم الله فضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي، وأسأل الله أن يرضى عنه، وأن يجزيه خير الجزاء وأن يبارك الله في أولادة المنتسبين، والعلماء من طلاب علمه، والحمد لله أولاً وآخراً..

شريف كمال عزب

تم بحمد الله